الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS
١٣٣
حزيران ١٩٩١
- السنة الثانية عشرة -
No. (133) June 1991
الثمن ٤ شيكل

ما زالت بعض الاوراق بأيدينا • قواعد اللعبة تستدعي البحث عن اوراقها • اقتصاديات السوق عودة الى الرأسمالية ام فهم جديد؟ • لعازار التوجه القومي هو خيارنا؟ • النفس الملحمي في رواية "النودة فرج" موسم جديد للفن التشكيلي • ثائر و "ضمير امه حكمت" امرأة لكل العصور •

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٣٣) حزيران ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة - No. (133) June 1991

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 856931

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

اول الكلام

اذا كانت الثقافة، واحدة من اهم عوامل وجود الامة واستمرار حضورها، فهي بالنسبة للشعب الفلسطيني اكثر من ذلك بكثير، ذلك لان الصراع الذي نخوضه يتمحور اساسا حول بقائنا، وتأكيد حضورنا واستمرارنا الازلي، ولذا، فان الحاجة الى العناية بالجوانب الثقافية المختلفة، لا تقل اهمية عن عنايتنا بالنواحي الاقتصادية والصحية والاجتماعية وغيرها، وعليه يجب النظر الى هذه المسألة بجدية، في وقت ادت فيه الظروف التي احاطت بالشعب الفلسطيني في السنوات الاخيرة، الى تراجع كبير في الناحيتين الثقافية والتعليمية، ونحن ندعو هنا، الى ان تأخذ الثقافة بشكل عام، حصتها ونصيبها في خطط التنمية، وفق دراسات علمية جادة ومسؤولة، تعنى بالشؤون والجوانب الثقافية، للمحافظة على هويتنا وانتمائنا القومي بحيث تدرك خصوصية هذا الجانب، في حياة الشعب الفلسطيني.

المحرر

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- ما زالت بعض الاوراق بأيدينا. الكاتب..... ٢
- قواعد اللعبة تستدعي البحث عن اوراقها. أسعد الأسعد..... ٣
- اقتصاديات السوق عودة الى الرأسمالية ام فهم جديد؟ صلاح عبد الشافي..... ٦
- "حملة عام ١٩٩١ من اجل النساء"..... ١٠
- رسالة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الاسرائيلي..... ١٤
- قائمة بأسماء شهداء الشهر الثاني والاربعين للانتفاضة..... ١٧
- نعم لاقامة مؤسسة متخصصة تعنى بأدب الاطفال في الارض المحتلة. محمد محمود بحيص..... ١٨
- لماذا التوجه القومي هو خيارنا؟ أحمد ابو غوش..... ٢٤
- ما بين "أصنام المسرح" و "البيكونية النقدية"..!. سمير رنتيسي..... ٣٠
- تشكيل فن الكاريكاتورة ومشروع الحرب والسلام. علي الجريري..... ٣٢
- النفس الملحمي في رواية "انشودة فرح". د. ابراهيم العلم..... ٣٥
- ملاحظات على مقالة خالد البطراوي حول مجموعتي القصصية "وتستمر الحياة". يعقوب الاطرش..... ٣٨
- لقاء مع الفنانة فاطمة المحبب. كريم دباح..... ٤٤
- بداية موسم جديد للفن التشكيلي. شمران ابو الحكم..... ٤٧
- الخروج الى الدائرة في «قضية المدعو "س"». صافي صافي..... ٥٠
- فاتن و"ضمير ابله حكمت" امرأة لكل العصور. ماجدة موريس..... ٥٣
- قصص قصيرة. جمال القواسمي، تيسير عبد العزيز..... ٥٦
- شعر. مجيد عسقلاني، دان الماغور..... ٦٠
- حينما يستباح الشعر والشاعر. وسيم الكردي..... ٦٤

لوحة الغلاف للفنان طالب دويك

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٧٥	١٠٠
للمؤسسات	٥٠	١٥٠	٢٠٠

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

Digitized by Birzeit University Library

ما زالت بعض الاوراق بأيدينا

يوما بعد يوم، تستقر الامور، وتعود الحقائق الى السطح، كما كانت دائما، واهم هذه الحقائق، ان لا مناص من الاعتراف بأن القطيعة لن تكسب احدا سوى الازمة تلو الازمة، والعزلة تلو الاخرى، ومن هنا فان العودة الى رأب الصدع، على اسس وضوابط جديدة ومتينة، هي الطريق الوحيد، للخروج بنتائج افضل.

لقد بدأ السوريون يدركون الآن، انهم بحاجة الى من يقف معهم، بعد ان تبدت لهم سوأتهم التي تكشفت امام حقائق الموقف الامريكي، فالولايات المتحدة، تشير الى سوريا باصبع الاتهام، لتقويض مساعي عقد المؤتمر الاقليمي، وسوريا من جانبها باتت تخشى عزلتها، امام امكانية عقد المؤتمر بدونها، ولذلك، فهي في عجلة من امرها لكسب حلفاء لها، ومن هنا كانت زيارة الوفد الفلسطيني للعاصمة السورية، وفي هذا الوقت بالذات، وكذلك التوقيع على اتفاقية دمشق، بين الرئيسين اللبناني والسوري، وقبل ذلك التقارب السوري الاردني، اذ ان سوريا تتطلع الى ضمان الاطراف الثلاثة، وهي اطراف رئيسة في اي حل، او مسعى نحو السلام، خصوصا، الجانب الفلسطيني، الذي لا يمكن عقد اي اتفاق بدونه.

ومنظمة التحرير من جانبها، يخالجها احساس بالعزلة، بعد المحاولات والمساعي المحمومة لتطويقها، والقفز عليها، ولا شك في ان قيادة منظمة التحرير، تدرك ذلك جيدا، وهي لذلك، ترى في اعادة التنسيق والتحالف مع سوريا، مدخلا مهما للخروج من مأزقها هذا، ولا بد ان السوريين يتطلعون الى موقع مؤثر ومقرر في المنظمة، من خلال حلفائها، التنظيمات الفلسطينية المتواجدة في دمشق، والتي لم تنضو في صفوف منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات، منذ الخروج من بيروت عام ١٩٨٢، وتدرك هذه التنظيمات، ان الوقت قد حان للعودة الى صفوف المنظمة، ولو ادى ذلك الى التنازل عن بعض مطالبها الرئيسة، بما في ذلك التنازل عن مطالبتها بتنحي ياسر عرفات عن رئاسة المنظمة، وهو ما يبدو واضحا في المواقف الاخيرة لهذه التنظيمات، فهي تدرك ضعفها الكبير، في الساحة الرئيسة والذي بدا واضحا خلال الانتفاضة.

ومع ان التفاؤل يسود الاوساط الفلسطينية اليوم، اثر زيارة الوفد الفلسطيني مؤخرا لدمشق الا ان هذه الاوساط تدرك ان الخارطة التنظيمية للجنة التنفيذية، لن تعود الى ما كانت عليه، فقد تغيرت موازين القوى على الساحة الفلسطينية، واطاحت متغيرات كثيرة، بكثير من الاسس التي كانت تشكل وتصاغ على اساسها الامور، فقد كان للصاعقة ثلاثة مندوبين في اللجنة التنفيذية، ولا اظن ان واقعها الان، يعطيها الحق في ذلك، وعلى ذلك قس.

على أية حال، فان الاسابيع القادمة، تحمل في طياتها الكثير من المفاجآت، ويبدو ان اوساطا عربية وفلسطينية، على عجلة من امرها، لترتيب واعادة تخالفاتها، في مواجهة التحركات الدولية الجارية، ويبدو ان اطرافا عربية ودولية عديدة، باتت تدرك الان، امكانية عدم السماح للولايات المتحدة، بتخطيط العالم على هواها، ولعل اهتمام الرئيس المصري المفاجيء بأوروبا وزيارته لعدد من الاقطار العربية، ما يشير الى بعض هذه التغيرات، وفي اعتقادنا، ان العالم الان، وبضمنه العالم العربي، بات يدرك ان الولايات المتحدة، ما كان لها ان تفعل ما فعلته في الخليج اعتمادا على نفسها وامكانياتها، ذلك ان الغطاء المادي الذي قدمته دول الخليج واليابان والمانيا وغيرها، كانت عاملا اساسيا في تشجيع الادارة الاميركية على اتخاذ قرارها بالحرب، والآن.. ها هي الصراعات والتحالفات، تعود الى ما كانت عليه، وكأن شيئا لم يكن.

فهل لنا ان نتعلم من اخطائنا، وهل التكرار يعلم "الشطار"؟؟!.

«الكاتب»

Digitized by Birzeit University Library

قواعد اللعبة تستدعي البحث عن اوراقها

اسعد الاسعد

يوما بعد يوم، يدرك الذين عاشوا وهم الاعتماد على الادارة الاميركية في حل مشاكلهم وقضاياهم الوطنية، ان الحكومة الاميركية، لا تتمتع بالحد الادنى من المصداقية، في تعاملها مع قضايا الشعوب، وهي تمارس الدور القديم للاستعمار، بأشكال جديدة ليس الا.

واذا كان التحالف بقيادة الولايات المتحدة، سخر اكثر من نصف مليون عسكري، مزودين بالاف القطع الحربية الجوية والبحرية والبرية في حملة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، لاجبار العراق على الخروج من الكويت، وتدمير قدراته التحتية، اقتصادية كانت ام عسكرية ام مدنية، فان الاهداف الحقيقية لهذه الحملة، بدأت تتكشف، من خلال ما يجري في شمال العراق، واتخاذ مسألة الاكراد ذريعة لتدخل الولايات المتحدة وحلفائها في الشؤون الداخلية للعراق، بهدف تقويض امكاناته، وزعزعة قوته، بالاضافة الى استمرار تدخل الدول المحيطة بالعراق - تركيا وايران - في تنفيذ هذا الهدف، والسير قدما في تنفيذ المخطط الامريكي، بعد كسر شوكة العراق، بحيث تبدو الامور سالكة امام الادارة الاميركية وحلفائها، للسير قدما في رسم معالم الهيكلية الدولية الجديدة، على اساس، ان العصر، هو عصر الامريكان، وليس هناك احد يستطيع منعهم من مواصلة الهيمنة على العالم ... كذا.

وقد يكون هذا الاعتقاد، جزءا من سبب اندفاع بعض الانظمة العربية الى التحالف ضد العراق، طمعا في وعود قطعتها الادارة الاميركية ثمنا لذلك، وهي التي كانت تدرك ان مهمتها في الخليج، سوف تكون محفوفة بالمخاطر ... واكثر صعوبة، فيما لو ان مصر وسوريا، وغيرها، امتنعت عن اتخاذ الموقف نفسه من المسألة، واليوم، وبعد ثلاثة اشهر على انتهاء حرب الخليج، وعودة غالبية القوات المتحالفة الى بلادها، بعد انتصار الثلاث وثلاثين دولة بقيادة الولايات المتحدة على العراق، اختفت الازمة واخبار الخليج من وسائل الاعلام، وهنا ما يجيب على تساؤل البعض حول الابعاد الحقيقية لحرب الخليج.

وتنفيذا لسياستها، كان على الادارة الاميركية ان تقوم بما قامت وتقوم به الى الان، من تحركات مكوكية وعلى أعلى المستويات، لايهام حلفائها من العرب وغير العرب، انها ملتزمة بوعودها لحل القضية الفلسطينية، وانهاء الصراع العربي - الاسرائيلي، وفق قرارات الامم المتحدة، ومجلس الامن، وامعانا منها في تأكيد مصداقيتها فان الادارة الاميركية، تدين الاستيطان، وكذلك ابعاد المواطنين الفلسطينيين، وتطالب بعودتهم، لكنها تؤكد في الوقت نفسه، انها لن تمارس اي ضغط على اسرائيل للقبول بقرارات مجلس الامن، واسرائيل من جانبها تمضي قدما في تعنتها، وهي تدرك ان احدا، لن يضطرها الى التنازل، طالما ضمنت موقف الادارة الاميركية لعبة محكمة الابعاد والادوار.

وقد يقول قائل، ان على العرب والفلسطينيين الاستسلام للامر الواقع، الا ان الواقع برأيي، ليس كما يتوهم البعض، سواء من الفلسطينيين ام من العرب، فالحكومة الاسرائيلية اليوم، لا تقبل بتطبيق حتى كامب ديفيد، وما نص عليه

Digitized by Birzeit University Library

من حكم ذاتي كامل للفلسطينيين في الضفة والقطاع، وليس هذا من باب التشاؤم، اذ ان التصريحات التي يطلقها المسؤولون الاسرائيليون، ترسم حدود التصور الاسرائيلي لحل المسألة الفلسطينية، وانهاء الصراع العربي - الاسرائيلي، ففي المسألة الفلسطينية، تسعى الحكومة الاسرائيلية، الى حصر القضية، في الفلسطينيين المقيمين في الضفة والقطاع. وهي في تصوري، لا تذهب ابعد من منحهم «سلطة خدماتية»، لادارة شؤونهم المتعلقة بالسلطات المحلية - البلدية والقروية - على ان تظل الضفة والقطاع، جزءا من اسرائيل، وهو تصور تسعى الى تثبيته، من خلال فرض واقع في هذه المناطق، يحول دون تطبيق حل آخر يفضي الى سلخ هذه المناطق، عن اسرائيل، ولعل الحملة المحمومة للاستيطان الجديد، وتوسيع القديم والذي اقيم خلال ربع القرن الماضي في المناطق الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧، والاجراءات التي اتخذت منذ منتصف كانون الثاني الماضي، والتي جاءت بهدف تنظيم وتحديد العلاقة بين هذه المناطق واسرائيل، ليست الا تأكيدا لسعي الحكومة الاسرائيلية، وتثبيت تصورها، وقد تعزز هذا الموقف، بعد حرب الخليج، اذ ان اسرائيل، على الرغم من عدم اشتراكها في الحرب بشكل مباشر، الا انها كانت جزءا مهما، من صورة ما بعد الحرب، وطرفا اساسيا في خريطة توزيع الغنائم، ولدى الاسرائيليين اليوم، احساس بالنصر، وقناعة تامة، ان حصتهم يجب ان تصلهم كاملة غير منقوصة.

من هنا، فان الادارة الامريكية امام وعدين، وعد لاسرائيل، والاخر لحلفائها من العرب، وشتان بين الوعدين، فعربان النفط، ليسوا مشكلة، وهم مدينون بوجودهم للادارة الامريكية، وبالتالي فهم يسعون الى اعادة بناء اعمار الكويت، لم تتحقق، اذ ان ملوك وامراء النفط، الذين دفعوا عشرات مليارات الدولارات لتجهيز حملة - عاصفة الصحراء - والتي أدت الى تدمير الكويت، سوف يدفعون ايضا ثمن تعميرها، بل ان التقارير تفيد، بأن الخزانة الامريكية، سوف تشهد انتعاشا في مداخيلها جراء تلك الحرب، لم تشهده في السابق، ولم لا، «فالعربان كرماء، والامريكيون يستحقون»!! وهؤلاء العربان مشغولون بتسديد الفاتورة الامريكية الضخمة.

والامريكيون من جانبهم، وحتى يصبغوا على مساعيهم صفة الدولية والشرعية، ويبعدوا عنهم تهمة عدم المصداقية، او التفرد في المساعي، ادخلوا الاتحاد السوفييتي في هذه المساعي، ولعل زيارة بيكر للاتحاد السوفييتي، والتي اعقبتها زيارة بسمرتنخ لاسرائيل وبعض دول المنطقة، ليست الا محاولة لاشراك السوفييت في اللعبة الجاري تنفيذها. وما التناقض في تصريحات وزير الخارجية السوفييتي اثناء زيارته للمنطقة، الا بعض هذه المؤشرات، وان كنا نتحدث ونتساءل عن مصداقية الادارة الامريكية، فحري بنا ايضا، ان نتساءل عن مصداقية القيادة السوفيتية، مع ادراكنا للفارق بين قوة ونفوذ كل منهما، وتأثيره في صنع القرارات الدولية، وتنفيذها.

من جانب آخر، ورغم ان واقع الحال، لا يدفع الى التفاؤل بحل «معقول»، الا ان الطريق امام الانهيار، ومنع فرض حل يستند الى مبدأ المنتصر والمهزوم، لايزال قائما، اذا توفرت لذلك عوامل اساسية، اهمها ادراك القوى العربية الاساسية لطبيعة المرحلة، وثانيها، ان طرفا عربيا، كائنا من كان، لا يمكن ان يحقق ذلك وحده، والفلسطينيون، اول من يجب ان يفهم هذه المعادلة، وباعتقادي ان ذلك ممكن، وممكن رضى الامريكيين وليس العكس، واما سوريا ومصر، فان وعد الولايات المتحدة لهم، لن يكون اوفر حظا من وعد الانجليز للشريف حسين في العاشر من شهر حزيران عام ١٩١٦، وهو لن يتعدى في احسن الاحوال، اطلاق محدود للنفوذ السوري في لبنان، كما حدث في الاتفاق الذي وقعه الرئيسان الاسد والهراوي مؤخرا في دمشق، والمساعدة في بسط الجيش اللبناني نفوذه على الاراضي اللبنانية، وهذا يستدعي انهاء الوجود الفلسطيني المسلح في الجنوب، وكذلك تسريح المليشيات الاخرى، وهو امر لا يخفى على احد، ان للامريكيين والاسرائيليين مصلحة في تحقيقه ايضا، على ان لا يقترب هذا النفوذ ابعد من الخط الساخن في الجنوب، منطقة لحد - الحزام الامني - والذي يقع تحت سيطرة اسرائيل.

بالاضافة الى ذلك، فان الوعود الامريكية، لن تتعدى رفع الحصار الذي فرضته على النظام السوري، المتهم بمساعدة «الارهاب»، في اشارة واضحة، الى التنظيمات الفلسطينية المتواجدة في سوريا، ما عدا ذلك، ينحصر الوعد في مساعدات اقتصادية ضرورية لسوريا، للخروج من ازمتها الخانقة، على ان لا تتعدى هذه المساعدات النواحي الاقتصادية البحتة، ولعلنا نذكر الضجة التي اثيرت، حول الصواريخ الكورية، والمشروع الكوري السوري لتطويرها، قبل اشهر معدودة، وهذا ما يؤكد ان الادارة الامريكية وكذلك اسرائيل، لن تسمحا لسوريا، بالذهاب بعيدا في هذا المجال.

اما مصر، وهي الرائدة في ادخال الولايات المتحدة، كطرف رئيسي في مساعي حل الصراع العربي الاسرائيلي، فان بضعة مليارات كفيلة بارضائها، على الرغم من ان وعود دول الخليج، وخصوصا الكويت بمنح المصريين فرصة طيبة، ونصيبا في

Digitized by Birzeit University Library

جاء، اذا توفرت الرغبة الصادقة، والتوجه الصحيح المخلص، لحل المشاكل القائمة بين الفلسطينيين انفسهم، على قاعدة المرحلة وما تتطلبه المصلحة الوطنية، بعيدا عن المصالح الضيقة، التي سادت بين «الطوائف» المختلفة، سنوات طويلة، ومن هنا فان الانظار تتجه الى دمشق، حيث ساد احساس بالتفاؤل عقب زيارة الوفد الفلسطيني للعاصمة السورية.

من جانب آخر، فان وعيا مبكرا، لحقيقة الوعود الاميركية، من جانب من تلقوها، سوف يؤدي بالضرورة الى وقف التدحرج في الموقف العربي، وجسر الهوة التي احدثتها حرب الخليج، بين الدول العربية، ومنع انزلاقها اكثر.

وبرأيي، ان افلاس الانظمة العربية، ووصولها الى طريق مسدود، رافقه افلاس آخر من جانب التنظيمات والاحزاب الوطنية والتقدمية العربية، التي نظرت عقودا طويلة لتلك المقولات، وبالتالي، فان الازمة هي ازمة مزدوجة - رغم اختلافها - عند الطرفين، الانظمة التي تقف على رأس السلطة، وكذلك، ازمة في الجانب الاخر، سواء اكانت في الفكر ام في البرامج والتنظيم، ووعينا لهذه المسألة، من شأنه ان يضعنا في مواجهة المسألة، لاعادة النظر في بنائها من جديد، وفق ما طرحته ولاتزال الظروف والمتغيرات الدولية في الشرق والغرب، ولا بأس احيانا من اللجوء الى مبدأ «وحدة الاضداد»، من اجل هدف مشترك اساسي.

ان وعينا لهذه العوامل مجتمعة، يجب ان يدفعنا الى العمل على تلمس طريقنا، في هذا الليل الدامس، الذي يطبق علينا من كل جانب، ولا اشك في قدرتنا على تحقيق هذا، رغم ما يكتنف ذلك من مصاعب وعقبات.

«الكاتب»
للدراسات والابحاث

تتوجه ادارة مجلة «الكاتب» الى الزملاء الكتاب والباحثين والاكاديميين في وطننا، وفي الخارج، بتزويدنا بابحاثهم ودراساتهم، حيث اننا بصدد اصدار ملحق مجلة الكاتب، للبحوث والدراسات، بشكل فصلي ومحكم. آملين في تعاونكم، لاصدار الملحق المذكور في الوقت المحدد، وبالشكل والمضمون اللائقين بمجلة «الكاتب» وبالزملاء الكتاب.

علما بأن العدد الاول من الملحق سيصدر في الشهر القادم.

هيئة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

عودة الى الرأسمالية ام فهم جديد؟

صلاح عبد الشافي

مقدمة:

منذ ان بدات رياح التغيير تهب على دول اوروبا الشرقية، اوما اصطلح على تسميته سابقا دول المنظومة الاشتراكية، كثر الحديث في تلك البلدان عن اتباع اقتصاد السوق في تسيير الحياة الاقتصادية، وذلك كبديل عن الاقتصاد الاشتراكي المخطط ولقد شكل اعلان الاتحاد السوفييتي مؤخرا عن عزمه على اجراء اصلاحات اقتصادية جذرية على قاعدة اقتصاد السوق الموجه تتويجا لهذا الحديث.

البعض من علماء الاقتصاد الماركسيين اعتبروا هذه الخطوة تراجع واضح عن الاسس الماركسية اللينينية في الاقتصاد السياسي وعودة الى النظام الراسمالي مهما صدقت النوايا والطموحات، ولكن البعض الاخر - ايضا الماركسيين - يرون امكانية اعتماد اقتصاد السوق في بناء مجتمع ونظام اقتصادي اشتراكي، او بعبارة اخرى محاولة للدمج ما بين الية السوق ودور الدولة الاشتراكية في توجيه هذه الالية والتخفيف من أثارها الاجتماعية السلبية.

في هذه المقالة سنحاول الاجابة على الاسئلة التالية:

١- هل فعلا اقتصاد السوق الاجتماعي او الموجه هو نمط اقتصادي - انتاجي - رأسمالي فقط؟

٢- هل الاشتراكية كنظام اقتصادي - اجتماعي تحتمل اتباع آلية السوق دون ان تفقد مضمونها الاشتراكي؟

في معرض الاجابة على هذه الاسئلة سنقصر التحليل على الاسس النظرية ولن يتم التطرق الى التجارب العملية لبعض الدول الاشتراكية الا لتوضيح فكرة معينة.

مدخل لتحديد طبيعة المشكلة:

المشكلة تكمن في ان الاليات التي اعتمدت في الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي ودول اوروبا الشرقية، تم اعتبارها من قبل الماركسيين الالية الوحيدة للتطبيق الاشتراكي فبالتالي فان اي انحراف عن ذلك اعتبر تراجع في صالح الرأسمالية. تلك الالية اعتمدت نظام التخطيط المركزي للاقتصاد عن طريق جهاز الدولة الموحد، والذي لم يكتف بوضع الخطط التطويرية والاستثمارية العامة لفترة محددة (٥ سنوات في العادة) فحسب، بل تجاوز ذلك بوضع خطط تفصيلية تدخل في صميم مهام المصانع، او المجمعات الصناعية، او الشركات، من جهة تحديد الاصناف، الاسعار، الاستيراد والتصدير، الاجور، المكافآت...الخ.

قبل الخوض في الاسباب التي دفعت النظام الاقتصادي المخطط الى مأزقه الحالي، لا بد من عودة الى ماركس لان المشكلة - في اعتقادي - تبدأ هناك.

عندما كتب ماركس مؤلفه الاساسي في الاقتصاد السياسي (رأس المال) وهو العمل الذي حلل فيه ماركس بعبقرية فذة انتاج الراسمالي والاسس التي يعتمد عليها، تم الانطلاق من رأسمالية التنافس الحر، تلك التي تعني من جانب وجود عدد كبير نسبيا من الوحدات الاقتصادية المستقلة عن بعضها البعض والتي تحكمها فقط علاقة منتجاتها في السوق، ومن جانب آخر تعني عدم وجود اي دور يذكر للدولة في النشاط الاقتصادي، اي ان النظام الاقتصادي كان يسير حسب القوانين الموضوعية العمياء والخارجة عن ارادة الانسان. وهذا ما اسماه آدم سميث (باليد الغير مرئية للرأسمالية).

لقد اكد ماركس ان التنافس الحر بين الوحدات الاقتصادية الكثيرة والتي تتنازع على السوق ستؤدي من ناحية الى تطوير قوى الانتاج ومن ناحية اخرى الى حدوث عملية مركزة وتركيز في راس المال تصل الى درجة تؤدي فيها في النهاية الى اعاقة تطور قوى الانتاج مما يتطلب علاقات انتاج جديدة تحل مكان القديمة وتفتح الباب واسعا امام التطوير الخلاق لقوى الانتاج.

Digitized by Birzeit University Library

تأسيسا على ما سبق اعتبر ماركس ان النظام الرأسمالي وبعد ان يستنفذ طاقاته في تطوير قوى الانتاج يصبح معيقا لحركة التاريخ الصاعدة مما يستوجب حل هذا النظام واستبداله بنظام جديد.

وفي معرض دراستهما لقوى الانتاج وتطورها لاحظ ماركس وانجلز تحديدا بان قوى الانتاج والعمليات الانتاجية الحديثة هي من الكبر والتعقيد بمكان بحيث لا تتلائم طبيعتها مع ميكانيكية التنافس الراسمالي الحر، وهذا ما يستوجب نوع من التوجيه (REGULATION) لضبطها في اطار حركة النظام الرأسمالي وخلصا الى استنتاج مفاده ان علاقات الانتاج الرأسمالية عاجزة عن حل هذه المعضلة وبالتالي فان ساعة هذا النظام قد اقتربت.

عندما وضع لينين مؤلفه (الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية) في عام ١٩١٦، حلل عملية تكيف النظام الرأسمالي ذاتيا مع التطورات الجديدة في قوى الانتاج. بكلمات اخرى اوضح لينين عملية بروز علاقات انتاج جديدة هي علاقات الانتاج الاحتكارية (١) التي اخرجت الرأسمالية من التناقض الذي وصلت اليه آلية التنافس الحر.

وكأي عملية مادية في التاريخ فان حل اي تناقض يخلق معه تناقضات نوعية جديدة، من هنا فقد عمقت الامبريالية من تناقضات النظام الرأسمالي وزادت من حدتها، فلقد ادت علاقات الانتاج الاحتكارية الى حدوث دفعة كبيرة في اضفاء الطابع الاجتماعي على العمل، ومن جانب آخر استمرت عملية السيطرة الرأسمالية الخاصة على نتائج العمل مما حدا لينين الى الاستنتاج القائل بأن الامبريالية تعتبر عشية الثورة البروليتارية بأنها رأسمالية أيلة للموت والزوال.

ولقد شكلت نظرية التراكم الرأسمالي لماركس الاساس النظري الذي انطلق منه لينين لتحليل الامبريالية، ومن هنا شكل هذا التحليل تطويرا خلاقا لنظرية ماركس الاقتصادية.

دون الخوض كثيرا في استعراض تحليلات ماركس، انجلز، ولينين حول الرأسمالية - مثل هذا الاستعراض سيتجاوز حيز وامكانات مثل هذه المقالة - فاننا نستطيع القول ان تلك التحليلات خلصت الى الاستنتاج العلمي القائل بان الراسمالية سواء كانت تعتمد التنافس الحر او الراسمالية الاحتكارية، اصبحت نظاما رجعيا ينبغي القضاء عليه وذلك لانها وبالدرجة الاولى تعيق تطور قوى الانتاج وبالتالي حركة التاريخ لان ماركس اعتبر ان قوى الانتاج هي العامل الثوري في التطور الاقتصادي.

السؤال او القضية المركزية والتي تحتاج الى بحث هنا هي:

هل استنفذ النظام الرأسمالي فعلا كل طاقاته وامكاناته في تطوير القوى المنتجة كما بدا لماركس وانجلز ومن ثم للينين؟

ان المراقب البسيط لمجرى الاحداث والتطور التاريخي منذ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وحتى الان يستطيع ان يجيب وبكل حزم بالنفي على السؤال السابق، ذلك ان النظام الرأسمالي استطاع في مجرى تطوره ء أن يتجاوز الازمات الاقتصادية التي عصفت به وان يخلق الاليات المناسبة لدفع عجلة التطور العلمي التقني الى الامام. وما زالت الرأسمالية اليوم هي السباقة في مجال التجديد الاقتصادي (INNOVATION) وانتاجية العمل.

قد يتساءل البعض هل يعني ذلك ان نقف مكتوفي الايدي وننتظر حتى تستنفذ الرأسمالية طاقاتها ومن ثم يحين موعد النظام الاشتراكي؟!!.

رسم كريكاتيري للرسام المعروف "لوري" / عن "الهيرالدتريبيون"

Digitized by Birzeit University Library

بالطبع لا فتلك ستكون نظرة مبسطة وسطحية للامور فالهدف مما ذكر سابقا هو للتذكير بان الكثير من الاستراتيجيات والسياسات قد رسمت على ارضية المبالغة في التقليل من قدرات النظام الرأسمالي ولعن كل ما يمت لهذا النظام بصلة وفي المقابل المبالغة في القدرات الذاتية للدول الاشتراكية والتركيز على منجزات علمية واقتصادية احادية الجانب (٢).

ان حديثنا هنا عن منجزات الرأسمالية لا يجعلنا نغفل ولا للحظة واحدة الباع الطويل لهذا النظام في استغلال الانسان ونهب خيرات وثروات الدول النامية، فهذا جزء لا يتجزأ من الالية التي تسير النظام الراسمالي. لكن ما يهمنا في هذا الاطار هو حقيقة ان التطور العلمي التقني وما افرزه من منجزات على كافة الاصعدة الاقتصادية الاجتماعية والثقافية، هو بالمصلحة النهائية ملك للبشرية جمعاء ويشكل اسهاما في دفع التطور التاريخي الى الامام.

النظام.... والالية:

في معرض تحديده لطبيعة اية تشكيلة اجتماعية اقتصادية، اعتبر ماركس ان الملكية هي المقياس الاساسي لتحديد الطبيعة والبنية الطبقية لاي نظام.

فالملكية الخاصة لوسائل الانتاج هي التي تشكل جوهر الرأسمالية، لكن شكل هذه الملكية قد يتغير من مرحلة الى اخرى ويختلف من بلد الى آخر، وذلك طبقا لخصوصية التطور في كل دولة على حدة.

فاشكال الملكية الخاصة في الرأسمالية تحورت وتغيرت باستمرار وذلك على مدى عمر هذا النظام الذي يتجاوز ١٧٠ عاما. فالشكل الذي تجسدت من خلاله الملكية في راسمالية التنافس الحر يختلف عن ذلك الذي ساد في راسمالية الدولة الاحتكارية حيث هناك ملكية للدولة، ملكية احتكارية، ملكية خاصة صغيرة....الخ.

ولقد اعتبر ماركس ان السوق وآليته هما المكان الذي تعيد فيه الملكية الخاصة انتاج نفسها.

ما يهمنا في هذا السياق هو ضرورة التفريق الواضح ما بين التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية المحددة، وما بين الالية وادوات التسيير الاقتصادي.

عودة الى الاشتراكية فلقد راى ماركس وانجلز بان الحل الجذري للتناقض الاساسي للرأسمالية يتم عن طريق احلال الملكية العامة لوسائل الانتاج بدل الملكية الخاصة، ولقد خلصا الى استنتاج مفاده بأن الملكية العامة تنفي وجود الانتاج البضاعي وبالتالي يعني ذلك اختفاء السوق وآلياته العفوية ويحل مكانه التخطيط الاشتراكي.

ولقد شكل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى والبدء في بناء اول دولة اشتراكية التجربة الاولى في بناء اقتصاد اشتراكي يعتمد على الملكية العامة لوسائل الانتاج. ولم تخل تلك التجربة من العثرات فلقد تبنى لينين في بداية الامر وجهة نظر ماركس فيما يخص الانتاج البضاعي، ولكنه تراجع عن ذلك فيما بعد مؤكدا على ان الانتاج الاشتراكي هو ايضا انتاج بضاعي وعكس ذلك نفسه عمليا في السياسة الاقتصادية للسلطة السوفييتية الفتية.

ولقد جاءت (سياسة شيوعية الحرب) والتي تم اتباعها في عام ١٩١٨ ليست استجابة لمتطلبات الحرب الاهلية والتدخلات الخارجية فحسب بل وشكلت ايضا محاولة من قبل السلطة السوفييتية - بالرغم من عدم الاعلان عن ذلك رسميا - وتطبيق اقتصاد يلغي دور النقود في التبادل ودورها كمعادل عام للقيمة تمشيا مع مقولة ان الانتاج الاشتراكي ليس انتاجا بضاعيا وبالتالي ليس هناك حاجة للنقود والسوق، لكن لينين عاد وادرك بان هذه السياسة الاقتصادية لن يكتب لها النجاح وستضر باضرار بالغة على الدولة وخاصة على قطاع الفلاحين الذين كانوا يشكلون قطاعا عريضا وتضرروا من جراء تلك السياسة حيث كان يفرض عليهم تقديم كل فائض الانتاج الى الدولة دون مقابل مما ادى الى تغييب الحوافز المشجعة على الانتاج وزيادته. ولقد جاءت السياسة الاقتصادية الجديدة والتي طبقها لينين في بداية العشرينات وهي ما اصطلح على تسميتها سياسة النوب (NEW ECONOMIC POLICY) لتؤسس لسياسة اقتصادية جديدة الملامح في الاتحاد السوفييتي تعتمد اكثر على آليات السوق مع اعطاء هامش قليل من الحركة للقطاع الخاص والرأسمال الاجنبي.

دون الاستفاضة في استعراض تاريخ السياسة الاقتصادية السوفييتية بعيد ثورة اكتوبر فاننانهدف من جملة ما نهدف اليه على التاكيد ان حقيقة الاقرار بوجود انتاج بضاعي اشتراكي - وهذا مالا يختلف عليه اثنان في الاقتصاد الماركسي اللينيني - يجب وبالضرورة ان يترافق بالاقرار بوجود سوق وهذا بدوره يعني ان يتم اعتماد آليات السوق في التسيير الاقتصادي.

قد تبدو هذه الحقيقة بديهية للكثيرين، لكن المتتبع لما كتب في الاقتصاد السياسي للاشتراكية يلاحظ انه كان يتم المرور على قضية السوق وآلياته في الاشتراكية مرور الكرام.

هنا يبرز السؤال التالي: هل يمكن تخطيط السوق؟

قبل الاجابة على هذا السؤال لا بد من القول ان العوامل التي تتداخل وتؤثر في السوق هي من التشعب والتنوع والكثرة بمكان يصعب حصرها وبالتالي تخطيطها، حيث تتداخل عوامل وموثرات اقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

سياسية، اجتماعية، جغرافية، نفسية...الخ. **من هنا نستطيع القول بامكانية توجيه السوق وليس تخطيطه.** فعملية التوجيه هذه تتم من قبل جهاز الدولة المركزي من خلال جملة من الادوات تشكل في مجموعها اسم السياسة الاقتصادية للدولة.

يمكن ايجاز الادوات التي تمارس من خلالها الدولة سلطتها وتحقق سياستها الاقتصادية بالتالي:

١- السياسة النقدية والمالية والمصرفية.

٢- السياسة الضرائبية والجمركية.

٣- الملكية المباشرة للدولة، وغالبا ما تكون هذه الملكية مركزة في الطاقة والصناعات الاستراتيجية.

هذا ويتفاوت مدى استخدام الدولة لتلك الادوات من مكان الى آخر وذلك طبقا للظروف الخاصة في كل دولة على حدة. ولكن الذي يحدد التوجه العام هو في نهاية المطاف **طبيعة السلطة السياسية** واية طبقة او شريحة اجتماعية تمثل تلك السلطة.

ما تقدم يقودنا الى القضية الجوهرية التي تتعلق بمدى ملاءمة اقتصاد السوق الى الاشتراكية وهي موضوعة الملكية العامة. اي ان المعادلة يجب ان تطرح على الشكل التالي: هل ممكن ان تتوافق الملكية العامة مع اقتصاد السوق؟ هذا التساؤل يتفرع عنه بالضرورة التساؤلين التاليين:

١- ما هي الضوابط التي ستحكم السوق؟

٢- ما هي الاشكال التي ستحقق من خلالها الملكية العامة؟

فيما يتعلق بالتساؤل الاول فقد تم التطرق له في معرض الحديث عن دور الدولة في النشاط الاقتصادي. اما فيما يخص الملكية العامة واشكال تحقيقها فلا بد من التنويه في البداية على ان الشكل الذي اعتمد في الدول الاشتراكية وهو ملكية الدولة ادى من جانب الى خلق جهاز حكومي بيروقراطي اداري ضخم بعيد كل البعد عن الواقع الاقتصادي العملي ويتعاطى معه بشكل فوقي وطبقا لاحكام ومواقف سياسية وايديولوجية مسبقة، ومن جانب آخر ادى هذا الشكل الى خلق نوع من الاغتراب لدى العامل بحيث لم يعد يدرك او حتى يشعر بانه مالك لوسائل الانتاج مما ادى الى بروز العديد من ظواهر التسيب وعدم الالتزام في العمل. اضف الى ذلك بان هذا الشكل عجز عن خلق الحوافز المادية الكفيلة بتشجيع الانتاج وافرغ طالمباراة الاشتراكية > من محتواها وحولها الى مجرد وسيلة دعائية.

اذا القضية المركزية تكمن في ايجاد اشكال للملكية العامة تستطيع ان تتعاطى وتتلاءم مع آلية السوق وتستغلها الاستغلال الامثل في العملية الانتاجية، بحيث يتم الموازنة الدقيقة بين المتطلبات التي تفرضها الية السوق والاشكال المناسبة للملكية العامة على ارضية المستجدات في الثورة العلمية التقنية وما يبدعه العقل البشري من نظريات حديثة في كافة مجالات الحياة.

خلاصة الحديث هو ان البحث عن الشكل الملائم قد لا يخلو من البراجماتية وانه من الخطأ الادعاء بأن هذا الشكل او ذاك هو الامثل بل ان مثل هذه العملية يجب ان تكون حصيلة تجارب وتضافر جهود العديد من الخبراء في مجال الاقتصاد.

بقي ان نشير الى ان اقتصاد السوق الحر لم يعد قائما بالشكل الذي تعاطى معه وعالجه آدم سميث كما يحلو لبعض علماء الاقتصاد الغربيين الادعاء وانما هذا مجرد ضرب من الديماغوجية التي تفتقر الى العلمية والموضوعية في التحليل، فالحديث اليوم عن السوق يختلف جذريا عن مفهوم السوق الذي ساد قبل ما يقرب من ١٨٠ عاما.

كلمة اخيرة: ان الافكار الواردة في هذه المقالة لا تشكل وجهة نظر نهائية في مجمل القضايا التي تم التطرق اليها بل هي محاولة لقراءة جديدة لافكار اعتبرت سابقا من المسلمات من قبل الكثيرين فلا تاخذ حيزا من النقاش للتوصل الى فهم اعمق لها.

الهوامش

(١) لا بد من التنويه بأن علاقات الانتاج الاحتكارية لا تنفي التنافس بقدر ما تعني نفي التنافس الحر فحسب المنطق الشكلي يشكل الاحتكار نقيضا للتنافس لكن حسب المنطق الجدلي فلا يشكل الاحتكار نقيضا للتنافس بحد ذاته.

(٢) الكثيرون يذكرون برنامج الفضاء والصناعة العسكرية المتطورة في الاتحاد السوفييتي للتدليل على التطور العلمي التقني للاشتراكية. لكن التطور العلمي التقني باعتباره احد القوى المنتجة تقاس فعاليته بمدى تكريسه في خدمة التطور الاقتصادي العام وخاصة في رفع انتاجية العمل، من هنا وتبعا لهذا المقياس شكل التطور المذكور اعلاه تطورا احادي الجانب.

التركيب الطبقي في الضفة والقطاع

القدس/ عن منشورات مركز الزهراء بالقدس صدر كتاب (التركيب الطبقي في الضفة والقطاع ١٩٤٨ - ١٩٦٧) لـ ابراهيم ابو كامش، وقد جاء الكتاب في ١٤٥ صفحة من الحجم المتوسط.

الكتاب محاولة لدراسة ما تمخض عنه حرب ١٩٤٨ من نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية الى حد ما عبر دراسة نتائج كل من الالحاقيين الاردني والمصري لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة في الفترة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ وتأثيرات هذا الالحاق على الوضع الديمغرافي والاقتصادي والاجتماعي وعلى ولادة تيارات سياسية جديدة تتماثل مع هذا الالحاق او تناقضه.

كما درس الكتاب بنية الطبقات في الضفة والقطاع، فهو يعتبر اطلالة على المقدمات الموضوعية لما نعيشه الان من اوضاع اقتصادية واجتماعية وسياسية.

Digitized by Birzeit University Library

«حملة عام ١٩٩١ من اجل النساء»

اصدرت منظمة العفو الدولية نشرة تتضمن مناشدة كافة اصحاب الضمائر الحية، للدفاع عن حقوق الانسان والانتهاكات الفظة التي تتعرض لها النساء في العديد من دول العالم. وقد حملت النشرة عنوانا باسم "حملة عام ١٩٩١ من اجل النساء".

ونحن اذ ننشر بعض هذه الانتهاكات، نرفع صوتنا عاليا متضامنين مع كافة المعتقلات والمعتقلين السياسيين في جميع انحاء العالم، وذلك انطلاقا من تجربتنا ومعاناتنا القاسية ايضا، حيث انتهاكات حقوق الانسان تداس يوميا.

وسوف نقوم تباعا بنشر بعض الحالات عن المعتقلات السياسيات في بعض دول العالم حسب ما جاء في نشرة منظمة العفو الدولية، بالاضافة الى الملحق الخاص بالنشرة.

الكاتب

ملحق / اثنتا عشرة خطوة لحماية الحقوق الانسانية للنساء

يتكفل القانون الدولي بحماية الحقوق الانسانية للنساء، شأنهن شأن كل الافراد. ومع ذلك، فان النساء من بين من يحبسون بسبب معتقداتهم وانشطتهم السلمية، ويعذبون، ويحرمون من حقهم في محاكمة عادلة، ويخطفون و "يختفون"، ويعدمون خارج نطاق القضاء. كما تواجه النساء وحدهن انتهاكات لحقوق الانسان مرتبطة اساسا بجنسهن.

وتتحمل الحكومات مسؤولية الالتزام بالمعايير الدولية التي تضمن حقوق الانسان الاساسية لكل فرد من مواطنيها، لكن الحكومات كثيرا ما تخفق في اتخاذ الاجراءات التي تمنع انتهاكات حقوق الانسان.

ويمكن للمجتمع الدولي ان يقوم بدور حاسم في حماية حقوق الانسان من خلال عمل قوي ومنظم. وتتضمن الخطوات المهمة تجاه حماية حقوق الانسان للنساء على النطاق العالمي، تسجيل انتهاكات تلك الحقوق تسجيلا موثقا، واذاعتها على اوسع نطاق ممكن، والقيام بالحملات للضغط على السلطات الحكومية لوضع حد لهذه الانتهاكات. ويجب ان تواجه الحكومات التي تخفق في حماية حقوق الانسان الاساسية بقوة الرأي العام العالمي.

وتدعو منظمة العفو الدولية جميع الحكومات الى تنفيذ برنامج الاثنتي عشرة نقطة التالية، لتحمي النساء من انتهاكات حقوق الانسان. والتوصيات التي تضمنها البرنامج تعنى بانتهاكات حقوق الانسان التي تعانيها النساء بشكل اساسي، وبعدى انتهاكات تلك الحقوق التي تعرضت لها النساء والرجال والاطفال جميعا. وحملة حماية حقوق الانسان للنساء يجب ان تشن على نفس الجبهات ونفس القضايا مثل تلك التي تحمي حقوق الانسان لاي فرد، لكن بعض انتهاكات حقوق الانسان تتطلب اجراء خاصا لحماية النساء بشكل خاص، والتوصيات التالية تعكس سعة الحملة:

١- اوقفوا الاغتصاب والاساءة الجنسية وغيرهما من اشكال التعذيب واساءة المعاملة مما يقوم به رجال الحكومة.

- اتخذوا خطوات فعالة لمنع الاغتصاب والايذاء الجنسي وغير ذلك من اشكال

Digitized by Birzeit University Library

التعذيب واساءة معاملة المعتقلين والسجناء.

- يجب التنبيه على كل القائمين على انفاذ القوانين انه لن يتسامح في حالة انتهاكات حقوق الانسان، ويجب اجراء تحقيقات عاجلة وشاملة ونزيهة في جميع تقارير التعذيب واساءة المعاملة، ويجب ان يقدم الى العدالة اي موظف من موظفي انفاذ القوانين تثبت مسؤوليته عن ارتكاب مثل هذه الافعال، او عن التشجيع عليها، او التغاضي عنها.

- يجب ان يخضع للسيطرة الفعالة للهيئة القضائية اي شكل من اشكال الاعتقال او الحبس، وكل الاجراءات التي تؤثر على الحقوق الانسانية للمعتقل او السجين.

- يجب ان يمثل جميع المعتقلين امام قاض فور القبض عليهم.

- يجب ان يمكن جميع المعتقلين والسجناء من الاتصال بأفراد عائلاتهم وبمستشار قانوني فور القبض عليهم، وبانتظام، طوال مدة اعتقالهم او سجنهم.

- على السلطات ان تسجل المدة التي يستغرقها اي استجواب، وفترات التوقف بين الاستجوابات وهوية كل المسؤولين عن اجراء الاستجواب وغيرهم من الاشخاص الحاضرين.

- يجب ان تحضر حارسات من النساء في كل الاوقات في اثناء استجواب النساء المعتقلات والسجينات، ويجب ان يكن وحدهن مسؤولات عن القيام بأي تفتيش بدني للنساء المعتقلات والسجينات، بقصد تقليل احتمالات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية الاخرى. ويجب حجز النساء المعتقلات والسجينات في اماكن معزولة عن المعتقلين والسجناء من الرجال.

- يجب اتخاذ الاجراءات لمنع فرص الاغتصاب والاعتداءات الجنسية، فيمنع، مثلاً، الاتصال بين الحراس من الرجال، والمعتقلات والسجينات من النساء، بدون حضور امرأة حارسة.

- يجب اتاحة الفرصة لكل المعتقلات والسجينات من النساء لكي يفحصهن طبيب فور دخولهن الى مكان الاحتجاز، ثم بانتظام بعد ذلك، كما يجب اعطاؤهن الحق ان يفحص طبيب من اختيارهن الخاص.

- يجب اجراء فحص طبي، تقوم به طبيبات من النساء كلما امكن، لكل امرأة معتقلة او سجينة فور ادعائها انها اغتصبت، وهذه خطوة ضرورية للحصول على دليل من اجل اقامة الدعوى.

- يجب ان تحصل ضحايا الاغتصاب والاعتداءات الجنسية التي ارتكبها رجال الحكومة، مثل كل ضحايا التعذيب واساءة المعاملة، على تعويض وعلى رعاية طبية ملائمة.

٢- اوقفوا الاضطهاد بسبب صلات القرابة

- اي امرأة اعتقلت أو حبست لمجرد صلاتها العائلية، يجب أن يفرج عنها فورا وبدون شرط.

- يجب الا يتسامح مع التقليد الشائع من تعذيب النساء، او اساءة معاملتهن بقصد الضغط على اقاربهن، وكل من تثبت مسؤوليته عن فعل ذلك يجب تقديمه الى العدالة.

- ان سجن الام والطفل معا، يجب الا يستخدم وسيلة لتعذيب اي منهما، او اساءة معاملته عن طريق تعريضه لعقاباً بدنية او نفسية. واذا حدث وفرق بين الطفل وامه في السجن، فالواجب اعلامها فورا ومدها باستمرار بالمعلومات عن مكان وجوده وتمكينها بشكل معقول من الاتصال به.

٣- وفروا الرعاية الصحية الكافية لكل المعتقلات والسجينات

- يجب ان يوفر للمعتقلات والسجينات علاج طبي كاف، مما يشكل الحرمان منه نوعا من سوء المعاملة.

- وفروا الرعاية والعلاج اللازمين اثناء الحمل وبعد الولادة للنساء المعتقلات والسجينات ولاطفالهن.

- وفروا العوارد لعلاج الاوضاع المؤثرة بشكل خاص او اساسي على النساء المعتقلات والسجينات.

٤- افرجوا عن كل سجناء الرأي فورا وبدون اي شرط

- افرجوا عن كل سجناء الرأي، ومن بينهم الاف النساء، الذين اعتقلوا او سجنوا بسبب الجنس او المعتقدات او الاصل العرقي او اللغة او الدين، ويدخل فيها من اعتقلوا بسبب مشاركتهم السلمية في الحياة السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الثقافية لمجتمعهم.

- يجب الا تعتقل المرأة او تسجن لمحاولتها السلمية ان تمارس الحقوق والحريات الاساسية التي يتمتع بها الرجال.

٥- اكفلوا محاكمات عاجلة وعادلة لكل السجناء السياسيين

- ارفعوا المحاكمات غير العادلة، التي تنتهك في كل عام الحقوق الاساسية للسجناء السياسيين في كل ارجاء العالم، ومن بينها حقوق الاف من النساء.

- اكفلوا لكل السجناء السياسيين المتهمين بمخالفة جنائية ان يحاكموا محاكمة عاجلة وعادلة امام محكمة نزيهة مستقلة وذات كفاءة.

- اكفلوا لكل السجناء السياسيين ان يعاملوا حسب الضمانات المعترف بها دوليا للاجراءات القانونية العادلة، ومنها الحق في ان يخبر ساعة القبض عليه بالاسباب المحددة للقبض، وحق المرء في الاعتراض امام محكمة على شرعية القبض عليه، وحقه في ان يخبر على الفور بأي تهم موجهة اليه، وحق اي فرد يتهم بمخالفة جنائية ان يفترض فيه البراءة، وان يعطى ما يكفيه من الوقت والتسهيلات لاعداد دفاعه، وان

Digitized by Birzeit University Library

يتصل بمحام يختاره بنفسه، وحق استئناف الحكم بادانته او عقوبته امام محكمة اعلى، ومنع الاستشهاد كدليل في اي دعوى قضائية باي اقرار تم نتيجة للتعذيب او سوء المعاملة (باستثناء اتخاذه دليلا ضد شخص متهم بارتكاب مثل هذه الاساءات).

٦- اتخذوا خطوات فعالة لمنع "الاختفاء"

- اوقفوا حالات "الاختفاء" التي لحقت بالآلاف من النساء كضحايا او قريبات للضحايا.

- اجروا تحقيقات عاجلة وشاملة ونزيهة في كل التقارير المتعلقة بحالات "الاختفاء"، وقدموا المسؤولين عن ذلك الى العدالة.

- اخبروا العائلات على الفور بأي حالة قبض واجعلوهم على علم في كل الاوقات بمكان وجود المعتقل او السجين.

- يجب ان يحتجز المعتقلون والسجناء في مراكز اعتقال رسمية ومعروفة، تنشر في قائمة على اوسع نطاق.

- يجب الا تتعرض النساء لانتهاكات حقوق الانسان بسبب بحثهن عن قريب "مختف".

- يجب ان يدفع تعويض لاقارب ضحية "الاختفاء".

٧- حافظوا على الحقوق الانسانية للنساء في ظروف الصراع المسلح

حافظوا على حقوق الانسان في ظروف الصراع المسلح عن طريق وقف سجن سجناء الرأي، والتعذيب وسوء المعاملة، وعمليات الاعدام خارج نطاق القضاء، وبتوفير محاكمات عاجلة وعادلة لكل اولئك المعتقلين لاسباب سياسية، وذلك طبقا لضمانات حقوق الانسان ومعايير القانون الانساني.

٨- امنعوا انتهاكات حقوق الانسان ضد النساء اللاجئات او طالبات اللجوء

- يجب الا تعاد اي امرأة، او اي طالب لجوء، قسرا الى بلد يحتمل ان تصبح فيه سجينه رأي او تعذب او تعدم.

- وعلى الحكومات، فيما يتعلق بتقرير وضع اللاجىء، ان تعين لاجراء المقابلات اشخاصا مدربين على معرفة متطلبات حماية النساء اللاجئات او طلبات اللجوء.

- على الحكومات ان تجري تحقيقا شاملا ونزيها في انتهاكات حقوق الانسان، ومن بينها التعذيب واساءة المعاملة، التي ترتكبها ضد النساء اللاجئات وطالبات اللجوء في بلد الملجأ، وان تقدم اولئك المسؤولين عن ذلك الى العدالة.

٩- امنعوا انتهاكات حقوق الانسان ضد النساء من افراد الاقليات العرقية

- على الحكومات ان تعترف بحالة الضعف الخاصة لدى النساء ممن يكن اعضاء في الاقليات العرقية، ومجموعات السكان الاصليين، وان تتخذ الخطوات العاجلة لحمايتهن من انتهاكات حقوق الانسان.

- على الحكومات ان تشجب على الملأ، وان توقف، الاعتقال التعسفي والتعذيب او اساءة المعاملة، والاعدام خارج نطاق القضاء مما يقع على مثل هؤلاء النسوة.

- وكل مسؤول عن ارتكاب مثل هذه الانتهاكات، يجب اي يقدم على الفور الى العدالة.

١٠- اوقفوا الاعدامات داخل نطاق القضاء وخارجه والغوا عقوبة الاعدام

- على الحكومات ان تلغي عقوبة الاعدام وان توقف الاعدامات داخل نطاق القضاء وخارجه، تلك الممارسات التي تحرم النساء، بالاضافة الى الرجال والاطفال، من اهم الحقوق الاساسية - وهو حق الحياة.

- كل احكام الاعدام يجب ان تخفف.

- يجب اجراء تحقيقات شاملة وسريعة في كل حالات الاعدام المشتبه في انها تمت خارج نطاق القضاء، وتقديم من تثبت مسؤوليتهم عن ذلك الى العدالة.

- يجب اجراء تحقيقات طبية شرعية في حالات القتل بشكل عاجل وشامل.

- يجب ان تحصل عائلات ضحايا الاعدام خارج نطاق القضاء، وكذلك من كانوا يعولونهم، على تعويض عادل وملائم.

١١- صدقوا على الاتفاقيات الدولية لحماية حقوق الانسان

- على الحكومات ان تصدق على الاتفاقيات القانونية الدولية التي تنص على حماية الحقوق الانسانية للنساء، مثل: العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وبروتوكولية الاختيارين، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واتفاقية الامم المتحدة لمناهضة التعذيب، وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او اللاانسانية او المهنية، والاتفاقية الخاصة بازالة كل اشكال التمييز ضد المرأة.

١٢- ايدوا عمل المنظمات الحكومية المعنية

على الحكومات ان تعلن على الملأ التزامها بان توفر للمنظمات الحكومية - التي ترصد انتهاكات حقوق الانسان التي تتعرض لها النساء، ومن بينها لجنة الامم المتحدة الخاصة بوضع المرأة ولجنة منع التمييز ضد المرأة - الموارد الكافية للقيام بواجبها بطريقة فعالة.

*****

المغرب

كانت مباركة بنت طالب ولد حسين تعمل مذيعة في «راديو الصحراء» في العيون بالصحراء الغربية. ولانها هي نفسها كانت مستمعة نهمة، فقد اقتنت في بيتها مذياعا ضخما. كذلك فانها كانت تقرأ كثيرا،

Digitized by Birzeit University Library

تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥، زحف حوالي ٣٥٠ الف مغربي من المدنيين، مع دعم عسكري؛ الى الاقليم وطالبوا به على انه جزء تقليدي من المغرب («المسيرة الخضراء»). وبعد ذلك بقليل، تخلت اسبانيا للمغرب عن الثلثين الشماليين للاقليم. وسرعان ما بدأت بعد هذا تقارير «الاختفاءات».

وكان قد قبض على مباركة بنت طالب ولد حسين اول الامر، بعد وقت قصير من احكام المغرب سيطرته على العيون. وقد اعتقلت بدون محاكمة مدة سنة تقريبا، ولم يكفل الافراج عنها سوى توسط زوجها. وفي ايلول/سبتمبر ١٩٧٩، اغار بعض رجال الشرطة ممن يرتدون ملابس مدنية على بيتها وفتشوه. وفي حوالي السادسة مساء عصبت عيناها، وارغمت على ركوب سيارة ثم انطلقت بها، ولم يظهر لها اثر منذئذ.

ان حوادث «الاختفاء» تقع في بلدان كثيرة، والذي يخشى غالبا هو ان يكون «المختفون» قد اعدموا بالفعل سرا وخارج نطاق القضاء. وتعتبر المغرب استثناء من ذلك، حيث تشير الدلائل الى كثيرين من «المختفين» ربما لايزالون احياء ومحتجزين في مراكز اعتقال سرية، فبعضهم عاد الى الظهور، اوافرج عنه بعد فترة طويلة في الاعتقال السري، لكن ظل مئات دون تفسير لاختفائهم.

فقد قبض على احدى النساء ومعها ٤١ امرأة اخرى و ٧٠ رجلا، ثم افرج عنهم. وقد ذكرت في شهادتها انها امضت الاربع والعشرين ساعة الاولى في صومعة ارضية في ظنطن وعيناها معصوبتان ويداها مربوطتان:

« بعد ذلك نقلنا الى اغادير، الى زنزانة صغيرة جدا، كنا مجموعة من النساء والاطفال. كان علينا ان نبقى وقوفا طوال الوقت مدة شهر، واحيانا كنا نتكئ بقوة كي تتمكن واحدة منا من الجلوس مع طفلها. كنا نأكل مرة واحدة كل ٢٤ ساعة - قطعة من الخبز وبعض الماء القذر. كانوا يستجوبوننا كل يوم. وكنا نضرب ونعذب بالكهرباء ويوضع سائل جافل Javel (سائل كيميائي حارق مركز) على انوفنا، وقد توفى بعض الاطفال في الزنزانات؛ وبقي آخرون احياء لكنهم توفوا فيما بعد. وبعض النساء حلقت شعورهن. ».

ومن بين « المختفين » مدنيون من كل فئات المجتمع، ويبدو ان هناك مخططا يستهدف «اختفاء» اسر بكاملها بمجرد ان يشتبه في ان لاحد افرادها علاقة بجبهة البوليساريو. وعلى هذا، « اختفى » حتى نهاية عام ١٩٩٠، ١١ فردا - على الاقل - من اسرة واحدة، هي اسرة الليلي التي لها علاقة بأحد القادة الاول لجبهة البوليساريو.

ان منظمة العفو الدولية لا تتخذ موقفا ازاء الدعاوى المتضاربة بشأن الاقليم الصحراوي، لكنها تؤكد على ان الحكومة المغربية مسؤولة عن حماية حقوق الانسان الاساسية في كل الظروف.

مباركة بنت طالب ولد حسين

وتعيش حياة مستقلة. وكانت اول امرأة في الصحراء الغربية تحصل على رخصة لقيادة السيارة. وفي ١٩٧٩، «اختفت» تاركة وراءها امها وابنة عمرها ١٣ عاما.

وهي واحدة من مئات الاشخاص «المختفين» من جنوب المغرب والصحراء الغربية، واحيط اعتقالهم بسرية وصمت من قبل الحكومة المغربية. وقد قبض على كثير منهم للاشتباه في انهم او اقربائهم يعارضون الحكم المغربي في الصحراء الغربية ويؤيدون منظمة جبهة البوليساريو. ويظن ان كثيرين قد احتجزوا في معتقل في ظروف مروعة مدة بلغت ١٥ سنة.

كانت الصحراء الغربية في جنوب المغرب، تشكل جزءا من امبراطورية اسبانيا في افريقيا، وفي ١٩٧٤، وافقت اسبانيا على اجراء استفتاء لتقرير مستقبل الاقليم؛ وقد اخذ في الاعتبار خيار الاستقلال او الاتحاد مع المغرب او مع موريتانيا، لكن الاستفتاء لم يتم. في

الإفراج
عن سجين رأي

أفرج عن صالح المزاز، وهو صحفي وكاتب بارز، دون تهمة في ٤ آذار/مارس، وكان قد ألقي القبض عليه في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ فيما يتعلق باحتجاج النساء في الرياض على عدم التصريح لهن بقيادة السيارات. وكان معتقلاً في حبس انفرادي بالقبر الرئيسي للمخابرات العامة بالرياض. وورد أنه خضع للتعذيب.

وكان قد سبق القبض عليه في أيار/مايو ١٩٨٢ عندما كان رئيس تحرير جريدة اليوم. واعتقل دون تهمة أو محاكمة إلى أن أطلق سراحه في أغسطس/آب عام ١٩٨٣. □

Digitized by Birzeit University Library

رسالة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الاسرائيلي

بعث الينا المعتقلون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية رسالة طويلة، يتحدثون فيها عن المأساة والظروف اللاانسانية التي يعيشونها ويناشدون كل ذي ضمير حي الى التضامن معهم ودعم مطالبهم.

ونحن اذ نعتذر لكافة المعتقلين والقراء الاعزاء لعدم تمكننا من نشر الرسالة كاملة، فاننا نعيد ما جاء في الرسالة حسب ما نشرته "الاتحاد" الحيفاوية، بتاريخ ١٩٩١/٢/٦ وذلك لضرورات خاصة بالنشر.

الكاتب

"مما لا شك فيه ان حلقات المؤامرة الامبريالية والصهيونية تزداد في ظرفنا الحالي اتساعا وشراسة وقمعا في مواجهة نضال شعبنا الفلسطيني الابي مستهدفة بذلك اجهاض انتفاضته وثورة شعبنا والالتفاف على انجازاته وتضحياته التي شيدت وعمدت بدم الشهداء وبالام الاسرى. وها نحن نرى اليوم تصاعد الهجمة الشرسة وشدة البطش والقتل والتهجير القسري من خلال فرض الحصار الاقتصادي والتشديد في فرض القوانين العسكرية واغلاق المناطق ومنع التجول والاعتقالات الجماعية باعداد هائلة وتوسيع اطار الابعادات وهدم المنازل وصلف وعجرفة وتصريحات قادة اسرائيل العنصرية المفضوحة في ظل وضع انهزامي للضمير العالمي وهيمنة الامبريالية الامريكية على قرارات هيئة الامم ومجلس الامن وازدواجية التعامل مع حقوق الشعوب المشروعة. وقد اعطانا الوضع الجاري والذي جرى قبل وخلال وبعد ازمة الخليج المثال الحي لذلك".

واضافت الرسالة: "وها نحن اليوم وفي ظل الازمة السياسية والاقتصادية التي تشهدها الكتلة الشرقية، وبشكل خاص الاتحاد السوفييتي، والذي اثر على وضعها باتخاذ مواقف سلبية في الاونة الاخيرة لا شك انه ترك الباب مفتوحا على مصراعيه للدوائر الامبريالية والصهيونية لحرية الحركة والمناورة والتشدد في المواقف والتدخل في ازمات العالم العربي بشكل مباشر لم يسبق له مثيل مما عاد بالسلب على نضال شعبنا الفلسطيني وثورته الباسلة في جانب مهم الا وهو التغطية الاعلامية والمساندة السياسية لنضال شعبنا البطل. وهذا بحصيلته النهائية اتاح الفرصة للحكومة الاسرائيلية وآلتها العسكرية والاستخباراتية وقطعان مستوطنيها وعملائها من تشديد الخناق على جماهير شعبنا في محاولات يائسة وفاشلة هدفها الاول والاخير تحطيم ارادة شعبنا الوطنية المناضلة. ونحن اليوم كاسرى للدولة الفلسطينية وطلائع نضال ثورتنا الفلسطينية نواجه محاولات العزل والاستفراد بنا في ظل غياب المساندة للدوائر والمؤسسات الدولية والانسانية وقد تزامن ذلك مع اندلاع ازمة الخليج حيث طبق علينا العديد من الامور الجائرة والتي لا زال اثرها ووضعها قائما حتى تاريخ

Digitized by Birzeit University Library

صورة لمعتقلين فلسطينيين في معتقل النقب الصحراوي

كتابة هذه الرسالة ومنها:

اولا: فرض قوانين الطوارىء وسلبهم منا العديد من الانجازات والشروط اليومية تحت حجة وضع الطوارىء، مثل:

أ - تقليص مدة النزهة اليومية في السجون جميعا الى ساعة في اليوم وقد استمر ذلك لمدة شهرين من تاريخ اندلاع الحرب وقد رفع هذا الاجراء عن بعض السجون حاليا وفرض على سجون اخرى حتى وقتنا هذا ومثال ذلك معتقلو جنين.

ب - سحب اجهزة التلفاز والراديومات وساعة الرياضة ومنع الزيارات بين الغرف والاقسام والضغط علينا بهما في كثير من الاحيان والتلويح بسحبهما نهائيا في حالات عدم الانصياع لطلبات سلطة السجن.

ج - الاعمال الطبي وعدم اجراء العمليات للعديد من المناضلين تحت حجة ان عملياتهم هذه يجب ان تجري على حسابهم لسببين،

١) أن بعض المناضلين قاموا باعمال "تخريبية" والاضرار التي لحقت كان سببها انفجار عبوات او اصابات نتيجة لقيامهم بـ "مشاغبات" ومظاهرات.

٢) عدم قدرة سلطة السجون على توفير الحماية لبعض المناضلين في حالة نقلهم الى بعض المستشفيات المدنية.

٣) بعض العمليات مكلفة جدا وبحاجة الى ميزانية.. وجميع ما ذكرناه يوضح الطبيعة الاجرامية في التعامل في هذا المجال وخلاصة هذا الاجراء هو ممارسة اسلوب الضغط والمساومة على حياة المناضل في سبيل استخدام ذلك كهدف استخباري اسقاطي للمحتوى الثوري والنضالي والوطني للثائر الفلسطيني.

ثانيا: ممارسة العنف والضرب وكسر الاطراف وشبح الرؤوس للمناضلين تحت حجة واهية كاذبة واهمها ادعاء رجالات الادارة ان استخدام هذه الاساليب عقاب لنا لتأييدنا العراق وصدام حسين وهتاف شعبنا لصواريخ "الحسين" وسقوطها على اسرائيل، وقد حدث ان انقض رجالات الادارة وعلى رأسهم ضابط الامن في سجن الخليل على معتقل واوسعوه ضربا مبرحا حتى فقد وعيه، وبعد ذلك وجهت له تهمة الهتاف لصدام حسين وعندما تم انزاله للمحكمة العسكرية برأه القاضي من هذه التهم وقد قمنا برفع رسالة الى وزير الشرطة بهذه الحادثة وخاصة بعد براءة المناضل ولكنه تم اهمال هذه الشكوى هذا اضافة الى استخدام اسلوب العنف والضرب ضد اهالينا اثناء الزيارات، وكذلك الامر اثناء التفتيشات للمناضلين لعدم قبول المناضلين التفتيش العاري والاذلالي والذي هدفه النيل من كرامة الاسير ومشاعره اولا واخيرا هذا اضافة الى محاولات المساس باعضائه التناسلية وعورته.

ثالثا: هضم مخصصاتنا من مواد النظافة ومن اللائحة الغذائية وسرقة مستحقاتنا والطلب منا احضار ذلك عن طريق الكنتينا تحت حجة الميزانية وعدم قدرة الحكومة على الانفاق على السجناء وان خصم هذه الامور يأتي بعد الاضرار التي سببتها صواريخ "الحسين" العراقية لمنطقة "غوش

Digitized by Birzeit University Library

دان" وان خصم هذه الامور علينا سيوفر حاجة الحكومة نوعا ما في تعويض خسائر الحرب!

رابعا: اقدمت سلطة السجون في الفترة الاخيرة ايضا على خطوة تقضي بعدم تسلمنا الملابس من مخازنها والطلب منا احضار نفس النوعية واللون عن طريق الاهل.

خامسا: قطع المياه الباردة والساخنة لفترات تزيد عن العشرة ايام احيانا كاسلوب عقابي جماعي كذلك الامر استخدام العقاب الفردي والجماعي بشكل واسع ضد الاسرى لفترات طويلة (زنزانة) (غرفة انفرادية) قطع الكهرباء عن بعض الغرف اثناء النهار وسحب كابل الكهرباء لعدم اتاحة المجال لاعداد الشاي والقهوة. وعقاب عدم الخروج للنزهات اليومية والحرمان من ممارسة الرياضة الصباحية عقابات عدم الزيارة للاهل عقابات "الكنتينا". هذا اضافة الى عقوبات العزل تحت حجة النشطاء والمحرضين وعزلهم في اكسات السبع.

سادسا: الحصار الثقافي ومنعنا من ادخال الكتب ومنعنا من ممارسة ابداء ارائنا في مناسباتنا الوطنية واعيادنا الدينية واحتفالاتنا اضافة الى التضييق علينا في ممارسة شعائرنا الدينية وخاصة صلاة يوم الجمعة وحرماننا من تلقي وجبة السحور في شهر رمضان تحت حجة الامن وخطر فتح المطبخ في الليل لتوزيع السحور مع ان هذا الاجراء لم يطبق الا هذه السنة وبعد ازمة الخليج.

سابعا: التفتيشات الشبه يومية للغرف تحت حجة الامن ومنع الهرب، حيث يمارس في هذا الاسلوب خلط الزيت بالسكر والشاي بالملح والقهوة بمسحوق الغسيل وقلب خزانات الملابس وسكب منافض السجائر على الابراش وغير ذلك من محاولات الاهانة والاستفزاز.

الاخوة المناضلين، هذه هي المأساة بعينها نضعها بين ايديكم في ظل وضع مخز في امس الحاجة فيه لوقوف ذوي الضمائر الحية لجانبنا ومساندتنا في نضالنا وفضح هذه الجرائم والتحرك على الصعيد الرسمي والجماهيري والانساني والدولي لفضح فظائع الاحتلال الاسرائيلي ضدنا وننطلق في توجهنا هذا اليكم من اعجابنا بمواقفكم واصالة مقدوركم الوطني وصدق انتمائكم للشعب المكافح وصدق انتمائكم واخلاصكم وثباتكم على المبدأ واعجابنا بمواقفكم".

الفلسطيني لا يحمل اسما فهو «مخرب مجهول رقم..»

كشف الكاتب العبري ب. ميخائيل، في مقاله الاسبوعي الذي نشره في "هآرتس" (الجمعة ١٧ ايار الجاري) جانبا من جوانب تعامل سلطات الاحتلال الاسرائيلي مع ابناء الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة.

وهذا الجانب يتعلق باصدار تراخيص الدفن، خاصة للشهداء. ويقول الكاتب: "اليهود هم بشر، ولليهود توجد هوية اسم وعنوان وسبب وفاة. اليهود ليسوا كتل لحم ثقبها الرصاص. فقط العرب".

ويتابع "غير اليهود يجلبون من قطاع غزة، اجسادهم مثقوبة بالرصاص، وعليه فلا مكان لاي شك معقول، حكم الموظف لا يقبل التفسير "مخربون" وحتى الخيال الاكثر تشويها لا ينجح في اختراع مثال اكثر حدة او قطعية وتأكيدا لعملية التبهم التي تنفذها الة الاحتلال ضد ابناء الشعب الفلسطيني، هذه الالية الاتوماتيكية، والتي من غير الواضح من هنا من تفقده انسانيته: الموتى ام حفارو القبور"..

ولكي نوضح الامر الذي اثار هذا الكاتب العبري نقول بانه نشر صورة زنغوغرافية لرخصتي دفن تحملان رقم ١٦٧١٩٠ و ١٦٧١٩١.

وهذه الوثائق لا تحمل لا اسم الشهيد ولا تاريخ ميلاده ولا سبب الوفاة.. بل تحوي "مخرب مجهول رقم واحد" و "مخرب مجهول رقم ٢".. وهذه التراخيص تحمل توقيع الدكتور ليفي وتاريخ الوفاة ٢٩ ديسمبر ١٩٩٠.

الجدير ذكره ان ذاك اليوم شهد احداث صاخبة في قطاع غزة استشهد فيها خمسة مواطنين اربعة منهم برصاص قوات الاحتلال والخامسة امرأة استشهدت نتيجة الاختناق بالغاز..

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر الثاني والاربعين للانتفاضة

تدخل الانتفاضة هذه الايام شهرها الثالث والاربعين، في ظل تحرك سياسي امريكي، للالتفاف على اهداف الشعب الفلسطيني في التحرر والاستقلال.

وقد سقط خلال الشهر الماضي من عمر الانتفاضة (١٦) شهيدا، وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة (١٠٧٠) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الماضي.

السبت ١٩٩١/٤/٢٧

- سيد حسن ابو هنود (٢٦ عاما) رفح/ قطاع غزة. أصيب بنوبة قلبية حادة في المستشفى بعد تحويله اليه من معتقل "انصار ٢" في ٣/١٢.

الاربعاء ١٩٩١/٥/١

- نضال مروان العينبوسي (١٣ عاما) نابلس. أصيب بعيار ناري في رأسه يوم ٤/٢٦ خلال المواجهات التي شهدتها المدينة.

الخميس ١٩٩١/٥/٢

- غسان مصباح عبد الحميد ابو ندى (٢٣ عاما) مخيم جباليا/قطاع غزة. أصيب برصاصة قاتلة اخترقت رأسه على يد مسلح مرخص.

الجمعة ١٩٩١/٥/٣

- عصمت "عصام" شحدة قفيشة (٢١ عاما) الخليل. أصيب بالرصاص في رأسه من قبل مجموعة من الجنود المشاة وظل ينزف دما طوال ليلة كاملة.

- حسن محمد حسن ابو جراد (١٩ عاما) بيت حانون/قطاع غزة. أصيب بالرصاص في رأسه وظل يصارع الموت عاما كاملا.

الاحد ١٩٩١/٥/٥

- ايمن جابر النجار (١٧ عاما) مخيم رفح/قطاع غزة. أصيب بعيارين ناريين في الصدر والرقبة يوم ٤/٦.

- نمر حسن دراغمة (٣٠ عاما) طوباس/نابلس. أصيب بالرصاص خلال اشتباكات بين الجنود والملثمين.

الاثنين ١٩٩١/٥/٦

- عنان محمد فارس زيدان (١٧ عاما) مخيم طولكرم. أصيب بعيارات نارية في بيارة قرب قرية ارتاح. وذكر راديو اسرائيل ان الجنود اطلقوا النار عليه لانه لم يمتثل للاوامر وتبين لاحقا انه اخرس.

الاربعاء ١٩٩١/٥/١٥

- معين محمد دامو (١٩ عاما) رفح/قطاع غزة. أصيب بعدة عيارات نارية.

السبت ١٩٩١/٥/١٨

- امين عزات عبد الرحمن ابو الرب (١٩ عاما) مسلية/جنين. أصيب بعيارات نارية خلال تفريق مظاهرة في القرية.

الاحد ١٩٩١/٥/٢٦

- ابراهيم عبد الرحمن قاسم (٢٢ عاما) قرية دورا القرع/رام الله. أصيب بعيار ناري في رأسه، حيث كان الشهيد مطلوبا للسلطات منذ حوالي عام.

- محمد ابراهيم محمد القواسمي (٢٠ عاما) الخليل. اصيب بعيارات نارية من جنود كانوا يستقلون باصا تعرض للرشق بالحجارة.

- مهدية محمد حنيدق (٣٣ عاما) مخيم خانيونس/قطاع غزة. صدمتها سيارة عسكرية يوم امس.

الاثنين ١٩٩١/٥/٢٧

- جمال عمر كامل (١٨ عاما) قرية بيت قاد/جنين. اصيب بعيار ناري في رأسه.

الاربعاء ١٩٩١/٥/٢٩

- عادل ظاهر طعمة (٦٥ عاما) باقة الشرقية/طولكرم. عثر على جثته مقتولا بعيار ناري قرب نتانيا.

الخميس ١٩٩١/٥/٣٠

- حسين دودس ابو يوسف (١٧ عاما) مخيم النصيرات / قطاع غزة. كان في طريقه مع مجموعة من الملثمين للتحقيق مع احد المتعاونين، فقام الاخير بالقاء قنبلة واعيرة نارية مما ادى الى استشهاد حسين.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني واهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

نعم لاقامة مؤسسة متخصصة تعنى بأدب الاطفال في الارض المحتلة

محمد محمود بحيص

دعوات كثيرة اخذت تنطلق من هنا وهناك تحمل معها البشائر لمستقبل افضل لادب الاطفال، وكلها تصب في مصب واحد، وهو ضرورة العمل، وبشكل جاد ومخطط ومدروس لايجاد المناخ الذي يساعد على خلق الابداع الادبي والثقافي المتعلق بعالم الطفل في ارضنا المحتلة. فما هو المطلوب حقا؟ هل المطلوب ان نبقى ندور في دائرة مغلقة، ندعو الى تطوير هذا الادب واغناء مكتبة الطفل الفلسطيني بالوان الادب والفنون المختلفة ونكتب عن هذه الرغبة على صفحات مجلاتنا وصحفنا اليومية والاسبوعية؟ اما أن الاوان الى اتخاذ موقف عملي من كافة المهتمين بادب الاطفال من كتاب وادباء ومسرحيين ومؤسسات وتحديد لقاء يتم التحضير له مسبقا ولتكن المبادرة نابعة من قبل «اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع» كاطار يمثل كافة الاقلام الادبية والابداعية ... ومن ثم الشروع في وضع الاسس والركائز لتفعيل ما يسمى بادب الاطفال وثقافتهم بالطرق الصحيحة وضمن الامكانات المتاحة، لكي لا نبقى ندب حظ هذا اللون الادبي الذي يكاد يكون مفقودا من مكتبتنا العربية الفلسطينية، وتائها في نتاجنا الادبي، وعليه، فانني بدوري كمهتم بهذا الادب وتطوراته المحلية والعالمية، ساحاول ان اضع بعض التصورات واللمسات في هذا المقال، لمشروع يأخذ القائمون عليه على عاتقهم مسئولية الانعتاق من اغلال الندب والبكاء والقصور المفرط.

مقدمة

واقع ادب الاطفال في الارض المحتلة

ان الحديث عن واقع ادب الاطفال، لا ينفصل بحال من الاحوال عن الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي والتعليمي الذي تعيشه جماهير الارض المحتلة، وانا ما اخذنا العامل الاخير على سبيل المثال لوجدنا ان العملية التعليمية والتربوية لطلابنا وطالباتنا من كافة الاعمار والمراحل الدراسية، والذي يقدر عددهم حسب احصائيات ١٩٨٩/٨٨م بحوالي (٥٧٥٧٧٩) طالبا وطالبة، تعاني من ازمة حادة بلغت اوجها وعلى الاصح كشف زيفها في عهد الانتفاضة الفلسطينية المجيدة التي تشهدها الاراضي العربية المحتلة مع طلائع ولوجها في عامها الرابع. وفي هذا المجال يقول الاستاذ طاهر النمري في معرض حديثه عن واقع التعليم الالزامي والثانوي في الارض المحتلة عن العملية التعليمية» ... كما لا ينكر احد من الشاعين في مجال التعليم ان اصلاح الخراب التعليمي الذي الم بالعملية التعليمية في جميع مراحلها الالزامية والثانوية والجامعية بحاجة الى «انتفاضة» مدروسة لاصلاح المعطيات السلبية التي طرأت على التعليم كما ونوعا، سواء كان ذلك في عداد المؤسسات التعليمية وبنيتها التحتية، ومناهج التعليم والعاملين ومستوياتهم، والادارة التعليمية، والمخصصات المالية اللازمة للاصلاح والتطوير، وارجاع العملية التعليمية الى دينامياتها التي كانت عليها قبل الاحتلال في عام ١٩٦٧م، ومن ثم توفير المرافق المساندة والمكملة كالمختبرات، والوسائل

Digitized by Birzeit University Library

المعينة، والنشاطات اللامنهجية التي اصابها جميعا قصور وتراجع جاءت حصيلة ظروف موضوعية استجدت على الساحة التعليمية في الاراضي المحتلة* (١).

ومن هنا فان تطور ادب الاطفال مرتبط الى حد بعيد بالعملية التربوية والتعليمية وبغيرها من العوامل الاخرى.

وفي الوجه المقابل، فان الحديث عن ادب الاطفال، لا يتمثل فقط في التطرق لاسباب الخراب والدمار الذي لحق بالعملية التربوية والتعليمية المشار اليهما. لكوننا نعرف جميعا الاهداف التي يرمي الاحتلال الاسرائيلي لتحقيقها من خلال فرض السياسات المبرمجة والموجهة ضد التعليم، بل يتعدى ذلك الى الحديث عن طفلنا العربي الفلسطيني كانسان له حقوقه في التعليم والامان والاستقرار، وحقوقه في اللعب واللهو والتعبير عن ذاته، وانتمائه بطريقته الخاصة، شأنه في ذلك، شأن اطفال العالم اجمع. ولان الطفل الفلسطيني، وخاصة الذي لم يصل بعد الى مرحلة الدخول او القبول في المدرسة يواجه، ومنذ نعومة اظفاره، احداثا جساما تتلخص في معاناة شعبه اليومية، والعنف المتزايد الذي يمارس ضده وضد ابناء شعبه، ويرى ذلك بأم عينه، فالخوف كل الخوف على هذا الطفل من الجنوح والميل للعنف والتطرف والشذوذ والانحراف. فلقد اصيب بالرصاص الحي والمطاطي والبلاستيكي اطفال في عمر الورود، واستشهد الكثير منهم وفقد الكثير طرفا او اكثر من اطرافة في هذه المرحلة الدقيقة والمبكرة من حياته والتي يسميها علماء النفس (بالفقرة الحرجة) والتي تشكل شخصية الفرد مستقبلا وتطبعها بطابع خاص.

وبطبيعة الحال، فقد تزامن ذلك مع وجود رقابة عسكرية صارمة على كل ما يكتب او ينشر من قصص وحكايات هادفة وذات ابعاد حضارية وتراثية وجذور قومية عربية، والسماح باغراق بعض الاسواق المحلية بالحكايات والمجلات والقصص التافهة والتي لا مدلول لها، بل، ان مخاطرها تكمن في حشو عقل طفلنا العربي الفلسطيني بمفاهيم وقيم مهزوزة، لا لو او طعم لها، ولا تسهم في تشكيل شخصيته السوية، فنجد على سبيل المثال قصصا كثيرة تتحدث عن «الملك وعده؟!! وليس جبروته وطغيانه، والاميرة والساحرة ... بالاضافة الى الحكايات الغارقة في الشعوذة والسحر والعدمية الثقافية، في نفوس اطفالنا كالامانة والصدق والشجاعة والشرف والصبر ومساعدة الفقير والمحتاج والذكاء والاقدام والعدل ومحاربة الطغيان والثورة على الواقع وتغييره .. الخ مع الاشارة ايضا وبقوة الى التقصير الحادث الذي يعترف به الجميع، وقلة الاهتمام بالادب المناسب الذي يجب ان يقدم لطفلنا العربي الفلسطيني. اما اولئك الذين دخلوا المدرسة، وقطعوا شوطا لا بأس به في التعليم (خاصة قبل الانتفاضة)، فانهم الان يواجهون الاغلاقات الطويلة لمدارسهم، والمعوقات اليومية التي تمارسها قوات الاحتلال، حيث اصبح اطفالنا وفتياتنا عرضة للتنكيل، والاعتقال لفترات طويلة، والضرب والتعرض للغاز والرصاص بانواعه المختلفة، داخل وخارج اسوار المدرسة،(هذا اذا كانوا من طلاب مدرسة غير مغلقة وهي قليلة جدا)، هذه السياسة الرامية الى خلق جيل جاهل، غير متعلم وغير واع او مدرك لما يدور حوله، ليسهل على الاحتلال ضربه وتصفيته من محتواه الفلسطيني والعربي والحضاري تمهيدا لتذويبه وطمس هويته الى الابد، عدا عن المنهاج العقيم الذي يدرسه الطالب، وبخاصة في المراحل الابتدائية والاعدادية، والتي يشرف عليها ضابط التعليم الاسرائيلي وبلدية القدس ودائرة المعارف الاسرائيلية ولا استثني

*(١): واقع التعليم الالزامي والثانوي - طاهر الثمري (١٩٩٠) ص ١ مركز القدس للابحاث.

Digitized by Birzeit University Library

المدارس الاهلية الخاصة والتي لازالت تعلم منهاجا يحتاج الى تحديث وتنصب اهتماماتهاحيانا على تدريس لغات اجنبية بل ومناهج اجنبية لسنا بحاجة اليها على حساب تدريس اللغة العربية والتاريخ العربي والجغرافيا والتربية الدينية وذلك بهدف الحفاظ على والبريستيج» الخاص بتلك المدارس وتحقيق اهدافها الخاصة غير المعلنة.

واذا ما القينا نظرة سريعة على نوعية كتب الاطفال المتوفرة في منطقة القدس على سبيل المثال كمركز نشيط نسبيا بالمقارنة مع اسواق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين المصابة بشبه شلل تقريبا فاننا نجد السمات العامة التالية:

١- قلة اهتمام الكتاب والنقاد المحليين بادب الاطفال، وتوجيه جل اهتمامهم بشكل شبه كامل الى ادب الكبار من شعر ونثر وقصة قصيرة ورواية ومسرح وكتابات سياسية واقتصادية واجتماعية، وغيرها من اشكال العطاء الادبي والفكري المختلفة، ويستثنى من ذلك، اهتمامات بعض الكتاب مثل الاديب ابراهيم جوهر والذي دعى اكثر من مرة وفي اكثر من مقالة الى ضرورة الاهتمام بادب الاطفال وحذر من خطورة الاهمال الحاصل لهذا الجانب، وكذلك الكاتبة نجلاء شهوان والتي تعكف حاليا على اعداد دراسة تفصيلية حول ادب الاطفال في الارض المحتلة، والباحثة سميرة نيروخ والتي قدمت دراسة عن ادب الاطفال لنيل درجة الماجستير في الجامعة العبرية وغيرهم ...

٢- محدودية الانتاج بل وندرته، ويرتبط ذلك باسباب القصور الادبي المشار اليه في النقطة الاولى ولظروف موضوعية اخرى عرقلت ظهور سمات واضحة لادب الاطفال في الارض المحتلة حتى هذا الحين. واما الحكايات والقصص التي وضعت قبل مرحلة الانتفاضة، فاننا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- مجموعة حكايات للاطفال بعنوان (عايش ... تلين له الصخور) للشاعر علي الخليلي وقد صدرت عن منشورات مؤسسة ابن رشد سنة ١٩٨٠.

- حكاية «الديك المغرور» لابراهيم.

- مجموعة حكايات للاطفال حملت اسم «سلسلة قصص المستقبل الجديد» وهي من اعداد كل من محمد بحيص وهشام الخطيب صدرت في العام ٨٥، ومكونة من ثماني حكايات لم يظهر منها سوى حكايتين وهما (قيس والتنين) و (البطة الثرثارة).

- «غباء الحمار»، «الذئب المفترس»، «التضحية»، «المنحوس»، «علاء الدين من القدس القديمة»، «قانون الغاب»، «فوفو الصغير»ن «الرجل والافعى»ن «وزهرة الحياة» وهي عبارة عن حكايات شعبية وضعت بقالب لغوي مبسط لتساعد الاطفال على قراءة هذه القصص واستيعاب مراميها للممثل المسرحي صقر السليمية.

ب- الاعمال الادبية التي ظهرت في زمن الانتفاضة واهمها:

- مجموعتين قصصيتين للدكتور عبد الرحمن عباد وهي: «ذاكرة الزيتون» ، «ذاكرة كالنخيل» صدرت عام ١٩٩٠م.

- «كف حمدان» لسامية الخليلي صدرت عام ١٩٨٩م.

- «حكايات عن براعم الايام» لغريب عسقلاني.

- «المخاض» لجميل السلحوت صدرت عام ١٩٨٩م.

- في مجال العمل المسحري للاطفال فقد قدمت ثلاث مسرحيات للاطفال تم اخراجها وتمثيلها من قبل الجوال، والورشة الفنية، وفرقة الحكواتي. * (٢).

ج- سلسلة كتب فلسطينية للاطفال صدرت خارج الوطن المحتل واعيد طباعة بعضها من قبل احدى دور النشر بالقدس وبالرغم من العدد اليسير الذي طرح منها في الاسواق المحلية، فانها تعتبر وبحق اعمالا ادبية راقية في مضمونها وشكلها ومفعمة بالامل والمستقبل والتحرر، والاستقلال وحبذا لو استؤاد اصدار شبيهات هذه الاعمال لنشرها وتسويقها بشكل واسع، واهم ما وقعت عليه ايدينا من هذه النخبة الممتازة:

- حصار عراق المنشية - اعداد (مانى الطيطي) من سلسلة قريتنا في فلسطين - ١٩٨٦م.

- اغاني واناشيد اطفال فلسطين - ١٩٨٩م.

- اطفال الوطن الجميل - مجموعة شعرية للاطفال من شعر (محمد الظاهر).

- الحسون يكتشف السر - قصة من تأليف (علي حسن خلف) - ١٩٨٤م.

- اطفال فلسطين يكتبون الرسائل - شعر (علي البتيري) - ١٩٨٤م.

ومما يزيد تلك المؤلفات روعة واصالة، حقيقة ان الرسومات التي تزين صفحاتها، وبشكل خاص تلك التي تزين صفحات «اطفال فلسطين يكتبون الرسائل» و «حصار عراق المنشية» جاءت موفقة بدرجة كبيرة جدا وغاية في الجمال والابداع، اقول ذلك لانني على قناعة تامة، ان علينا ان نحرص على اختيار اللوحة الفنية المصاحبة للاعمال الادبية للاطفال حرصنا على اختيار الكلمة والهدف والمضمون، اذ ان العلاقة هنا علاقة تكاملية قوية الترابط وليست بالعملية العشوائية او المزاجية كما يتصور البعض.

د- مجلات وكتب تحوي على قصص ومغامرات من انتاج عربي، وبشكل خاص

* (٢): ابراهيم جوهر (ادب الاطفال في الانتفاضة والحرب) المنار ٢٥ شباط ١٩٩١م.

Digitized by Birzeit University Library

تلك التي تصدر في جمهورية مصر واهمها (ميكي، سوبر ميكي، ميكي جيب وتصدر جميعها عن دار الهلال المصرية). وكذلك مجموعة اخرى من المجلات المليئة بالمغامرات والحكايات الفريدة، والتي لا تخلو من الغرابة والرمزية احيانا مثل مجموعة مغامرات الهلال وكتب الهلال للاولاد والبنات واهمها (مجموعة الشياطين الـ ١٣) وهي ذات ابعاد قومية، كما ويصدر عن نفس الدار ايضا مجلتي (سمير وكاباتن سمير)، ونجد في بعض مكتبات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين القليل ايضا من بعض الاعمال الادبية العربية الجيدة الخاصة بالاطفال مثل مجلتي (زم زم) الاسلامية، وهي ملحق المختار الاسلامي لاطفال المسلمين، وكذلك مجلة اسلامية اخرى، وتدعى (المسلم الصغير) وتعنى هاتان المجلتان بتربية الناشئة تربية اسلامية من خلال القصة التاريخية والحكاية والرسومات التوجيهات الفقهية الاسلامية والاحاجي وغيرها.

وباستثناء المجلتين الاخيرتين اللتين تعنيان بالتربية الاسلامية، فان ما يمكن ان يقال عن الاعمال الاخرى المذكورة اعلاه على الرغم من احتوائها في احايين كثيرة على بعض الحكايات والمغامرات المثيرة لمخيلة الطفل، والالعاب المسلية، والاحاجي، ان غالبية المعلومات الواردة فيها والتوجهات والافكار والمفاهيم لا تحقق الفائدة المرجوة لطفلنا في الارض المحتلة، لا لشيء، وانما للتغير الذي ادى الى تغاير حياتي كبير بين اهتمامات طفلنا العربي الفلسطيني وطفلنا العربي في الاقطار العربية الاخرى، ذلك التغاير الذي نشأ بفعل المعاناة والمكابدة التي يلقاها طفلنا في فلسطين المحتلة، لذلك، فاننا نقول فيها ما قيل في حكم الخمر «ما اسكر كثيره فقليله حرام». فنحن احرج ما نكون لكتابات مميزة وهادفة

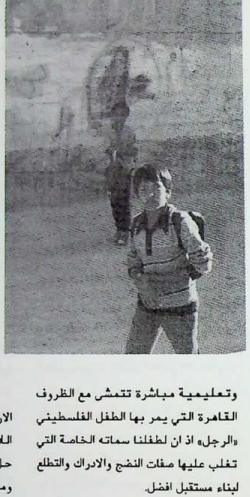

وتعليمية مباشرة تتمشى مع الظروف القاهرة التي يمر بها الطفل الفلسطيني «الرجل» اذ ان لطفلنا سماته الخاصة التي تغلب عليها صفات النضج والادراك والتطلع لبناء مستقبل افضل.

فمن الطبيعي، ان يتأثر الاطفال الصغار والفتية في كل مجتمع بظروف البيئة الاجتماعية التي يعيشون في كنفها، ومن المعلوم ان امثال هؤلاء تنقصهم الخبرات الحياتية، والثقافية والقدرات التي تعينهم على التحليل، وتصبح نفسية الاطفال والفتية متأثرة بما يجول في حدود هذه البيئة سواء كانت تمثل الاسرة او الحي او القرية او المدينة او القطر كله.

لكن ما يخالف هذا التوجه، وهذه القاعدة ما شاهده ولمسه الاباء والامهون في مسلكية اطفالهم وفتياتهم اثناء حرب الخليج، وانطلاق الصواريخ العراقية على البلاد، والتزام الناس للغرف المغلقة، واخذ الناس الحيطة الكاملة عند سماعهم لصفارة الانذار، كل ذلك وبشكل يدعو الى الدهشة والعجب لم يحرك نوازع الخوف والهلع في نفوس الاطفال، بل كان الاباء والامهون يستعدون مشاعر التعزيز ضد عقدة الخوف من اطفالهم وفتياتهم، واستعدوا مشاعر التحدي والتصدي للحرب النفسية من اطفالهم وفتياتهم ابتداء من عمر السنوات الثلاث حتى مرحلة الشباب.

لعل التساؤل الذي يدفعنا الى فهم ووعي هذه الظاهرة الاجتماعية التي تخالف سنة المالوف من القواعد العلمية النفسية، ويدفعنا الى الاسباب والمسببات والدوافع والمعطيات التي قولبت هذا التجسيد في فكر وسلوكيات الاطفال والفتية وتخرجه عن كل قاعدة اجتماعية عرفها خبراء وعلماء الاجتماع وعلم النفس والتربية.

لذلك، وكما اسلفنا فان ادب الاطفال في الارض المحتلة، لم يلق حتى الان، الاهتمام اللازم من الكتاب والادباء والقادرين على حل كثير من مشاكله، ودفعه الى الامام، ومرد ذلك، يرجع الى اسباب كثيرة، منها الموضوعية ومنها التبريرية غير الموضوعية، كما سبق ذكرها في مقدمة هذا الموضوع. لذلك، فان الحاجة ماسة لتبني اعمال الكتاب، وتحفيزهم على العمل والانتاج، وهذا بالطبع، يتطلب ايجاد مؤسسة تأخذ على عاتقها الاهتمام بادب الاطفال، وذلك لتحفيز الكتاب والادباء على وضع مؤلفات ادبية وفنية هادفة وايجاد الوسيلة الناجعة لتعميم نشرها لتصل الى ايادي كل طفل من اطفالنا.

اهداف المشروع العامة:

اذا كان لا بد من ايجاد مركز او مؤسسة تهتم بارساء قواعد متينة وجديدة لـ «ادب اطفال» عربي فلسطيني مميز في

Digitized by Birzeit University Library

اهدافه، ومراميه، فان الاهداف التي يجب وضعها نصب اعيننا كي يرتكز عليها مثل هذا المشروع هي:

١- التصدي لسياسة التجهيل التي تعتمدها السلطة المحتلة عبر وسائلها الكثيرة، وابرزها اغلاق المؤسسات والمدارس التعليمية من خلال ايجاد وتوفير الكتب التعليمية للمراحل المدرسية الاولى ومن الممكن الاستعانة بالكتب التعليمية المعدة للاطفال العرب خارج الوطن في المرحلة الاولى، ونخص منها تلك الكتب الموضوعية وفقا لاسس تربوية سليمة لمواجهة سياسة التجهيل هذه، بحيث يتمكن طفلنا العربي الفلسطيني من الاطلاع عليها، والاستفادة منها في البيت، والمدرسة، ويستتبع ذلك، اغناء مكتبة الاطفال بالقصص والحكايات والرسومات والبرامج الهادفة والمفيدة، والتي تساعد على التعبئة المعنوية والوطنية والانسانية وتنمية القدرات العقلية والذهنية للطفل العربي الفلسطيني من خلال ما يسمى بالتعليم البيتي.

٢- انقاذ الطفل العربي الفلسطيني، رجل المستقبل، من الخضوع والتشويه وعقدة الخوف والاحساس بالدونية والمشاكل النفسية والاجتماعية التي تفرزها بالضرورة تلك المرحلة الصعبة من المواجهات اليومية، والعنف والقهر من خلال تفعيل وتنشيط الحركة الادبية التي تعنى بادبيات الاطفال عن طريق اقامة هذه المؤسسة المقترحة.

٣- تسجيل تلك المرحلة النضالية والتاريخية ودور طفلنا فيها عبر تشجيع الانتاج المحلي والبحث العلمي الذي يتتبع المعاناة والالم والتجربة ساعة بساعة، وتشجيع وتوجيه اقلام الاطفال لكتابة محاولات ادبية نابعة من معاناتهم واهتماماتهم في هذه المرحلة بشكل خاص، واعتبارها منارة والهاما للمهتمين بادب الاطفال.

٤- اعطاء هذا الادب البعد العربي الفلسطيني وذلك عن طريق توجيه الطفل الى قضاياه اليومية وقضايا امته العربية وانتمائه القومي والحضاري، ومحاربة التوجهات الفردية والانانية والطائفية والاقليمية. ويتأتى ذلك كما قلنا عن طريق تفعيل الانتاج الادبي والفني الفلسطيني المجند والمبرمج، وتبني انتاج المفكرين العرب وخاصة الجيد منه.

٥- واخيرا، فان اضفاء السمة العالمية على ادب الاطفال العرب الفلسطينيين بعد ان يقطع مسافة السباق، وتتبلور شخصيته وملامحه ويحقق اهدافه القريبة والملحة، يعتبر من الامور الهامة، ويهدف الى تعريف العالم بمعاناة الطفل العربي الفلسطيني، وبابداعه وقدرته على مجاراة الاحداث، وتسجيلها، وخلق الابطال الرموز المستمدة من حضارتنا العربية وتراثنا العربي والفلسطيني، كشخصيات علي بابا، وعنترة، وقيس، والشاطر حسن وعلاء الدين واسماء شهداء ومناضلين فلسطينيين ... وغيرها.

مراحل تنفيذ المشروع:

من المؤمل تحقيق الاهداف سالفة الذكر من خلال هذا المشروع المقترح، بحيث تتمشى مع مراحل تنفيذه، والتي تتلخص في ثلاث نقاط رئيسية هي:

أ- المرحلة الاولى:

وهي مرحلة التأسيس او الانطلاق والتي تتطلب دعوة المهتمين بادب الاطفال من قبل اتحاد الكتاب الفلسطينيين الى اجتماع تمهيدي يتم فيه تبادل الاراء وطرح المقترحات وترتيب اقامة اللقاءات والندوات وقد يتخلل ذلك، العمل على جمع النتاج الادبي من قصص وحكايات ومسرحيات ودراسات ومقالات، والترتيب لاقامة مؤتمر او مهرجان موسع لدراسة وضع ادب الاطفال في الارض المحتلة بحيث يتم تناول الموضوع من كافة جوانبه، ومن ثم تقديم التوصيات التي تساعد على تمتين البناء الاولي للانطلاق نحو المرحلة الثانية.

ب- المرحلة الثانية:

وهنا يجب ان ينصب الجهد والعمل على تشجيع الاقلام المحلية في الارض المحتلة على المشاركة الفاعلة وحثهم على تقديم موادهم من قصص وحكايات ورسومات وكتب تعليمية تمهيدا لنشرها، وهذا يتطلب بطبيعة الحال القدرة على اختيار السمين منها والمفيد وتقوية قدرات الاقلام الناشئة وصقل مواهبهم. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق ايجاد (لجنة ادبية) متخصصة تشرف على ذلك، ولها الحق في الموافقة على المواد المرسلة للمركز او رفضها، ثم تقوم المؤسسة بدورها بنشر وطباعة المواد التي تنطبق عليها مواصفات العمل الادبي او الفني الجيد وطرحها في الاسواق لتصل كل بيت وقرية ومخيم بسعر زهيد، آخذين بعين الاعتبار الاوضاع الاقتصادية المتردية لابناء شعبنا العربي الفلسطيني، ويفضل ايضا في هذه المرحلة العمل على اصدار نشرة دورية تكون بمثابة وسيلة اتصال واغناء فكري وعلمي وادبي بين المؤسسة المقترحة وطفلنا العربي الفلسطيني من جهة، ومرآة تعكس مدى تأثير ونجاح هذا المشروع وجعلها وسيلة تثقيفية من جهة اخرى.

ج- المرحلة الثالثة:

وقد ينصب الاهتمام في هذه المرحلة على جعل المؤسسة المقترحة مركزا ادبيا يتوجه اليه المعنيون من الادباء والمفكرين والباحثين والمبدعين والقراء، بحيث يتم جمع دراساتهم الخاصة بطفلنا العزيز وادبه وحياته الاجتماعية والنفسية وتوثيق تلك

Digitized by Birzeit University Library

الدراسات ونشرها بهدف دفع عجلة ادب الاطفال ورفع الحصار المفروض عليه، وتتضمن هذه المرحلة ترجمة قصص وادبيات فلسطينية مختارة ودراسات فكرية جادة تتعلق بالطفل العربي الفلسطيني الى اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية ولغات عالمية اخرى ان امكن، وترجمة اعمال ادبية عالمية رفيعة المستوى الى العربية ايضا، وذلك لتحقيق البعد العالمي الذي اشرنا اليه في معرض حديثنا عن اهداف المشروع العامة.

*****

محكمة دولية في نيويورك للتحقيق في جرائم الحرب في الخليج

عادت د. نوال السعداوي من الولايات المتحدة بعد ان حضرت جلسة الاستماع الاولى التي عقدتها لجنة التحقيق برئاسة رمزي كلارك النائب العام الاسبق للولايات المتحدة وحضر الجلسة ما يزيد على خمسمائة شخصية امريكية يوم السبت ١١ أيار ١٩٩١ بمدينة نيويورك ليشاهدوا الادلة المادية والافلام والصور والتقارير عن تدمير المنازل والمرافق العامة وقتل ما يقرب من ٣٠٠,٠٠٠ من الشعب العراقي اغلبهم نساء واطفال.

رمزي كلارك النائب العام الامريكي يقدم شهادته ضد جورج بوش

افتتح جلسة الاستماع رمزي كلارك وقدم تقريرا مفصلا عن زيارته للعراق خلال الاسبوع الاول من شباط ١٩٩١ حين كانت الحرب مشتعلة، وقال رمزي كلارك انه لابد من محاكمة المسؤولين في الادارة الامريكية عن جرائمهم في حرب الخليج وعلى رأسهم جورج بوش ودان كويل وجيمس بيكر وديك تشيني ووليم وبستر وكولين باول ونورمان شوارزكوف وغيرهم وسوف تنعقد المحكمة الدولية خلال يناير ١٩٩٢ لاصدار حكمها بعد الاطلاع على جميع الادلة التي تجمعها لجان التحقيق المختلفة والمشكلة في عدد من بلاد العالم.

وقدم رمزي كلاك في جلسة الاستماع الاولى تسعة عشر دعوى ضد جورج بوش اطلق عليها صفة ابشع جرائم اقترفت ضد الانسانية "ذلك انه دفع العراق دفعا الى الحرب عن طريق سد جميع الطرق امام الحلول غير العسكرية، وشن حربا مسلحة وحشية ضد الشعب العراقي والمرافق الحيوية التي يعيش عليها، وحربا اخرى قد تبدو اقل عنفا، لكنها حرمت الشعب العراقي من الماء والغذاء والكهرباء والدواء وغيرها من ضروريات الحياة وتتركهم يموتون ببطء دون حاجة الى القاء القنابل عليهم.

وقدم مايكل رامز الرئيس السابق لهيئة المحامين الامريكيين ومدير حركة الحقوق الدستورية بالولايات المتحدة دعوة قانونية ضد جورج بوش بسبب خرقه الدستور الامريكي حين شن الحرب في الخليج.

ثم تكلم عدد من مندوبي لجان التحقيق في مختلف انحاء العالم منهم بيل بورينج من انجلترا واديب عبيد من الاردن، وأن نتجرى التي شهدت موت الاطفال في مستشفيات بغداد، وجويس شنديك الذي شهد المذابح التي قام بها الجيش الامريكي ضد الجنود العراقيين اثناء تنفيذهم قرار الانسحاب، وتكلمت نوال السعداوي عن وفد النساء العالمي الذي ذهب للعراق والاردن خلال كانون ثاني ١٩٩١، وقدمت حوالي عشرين شخصية اخرى شهاداتهم من واقع تجربتهم وعرضت الافلام التي صورت الاعتداءات على الشعب العراقي خلال الحرب وبعدها.

وفي نهاية تموز ١٩٩١ سيحضر الى القاهرة رمزي كلارك بدعوة من المجموعة المصرية التي تشكلت لتقصي حقائق حرب الخليج وتضم المجموعة عددا من الشخصيات المصرية العامة والكتاب ومنهم د. نوال السعداوي ومحمد سيد احمد وعادل امين ومراد غالب - جلال امين - لطيفة الزيات ومحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الاسبق وجمال الغيطاني، ود. ميلاد حنا وشريف حتاته.

ويسافر رمزي كلارك خلال الشهور القادمة الى عدة دول منها الاردن وبلجيكا وفرنسا وانجلترا وكندا وغيرها من اجل عقد جلسات استماع وجمع الادلة والشهادات المختلفة تمهيدا لعرضها على المحكمة الدولية خلال كانون ثاني ١٩٩٢ في الذكرى الاولى للاعتداء الوحشي على الشعب العراقي.

عن (الاهالي) ١٩٩١/٥/٢٢

Digitized by Birzeit University Library

المفكرون الفلسطينيون والعرب:

مع "الكاتب" في الحوار الايديولوجي - السياسي حول المشروع القومي العربي والقضية الفلسطينية

اسرة تحرير المجلة، تبدأ من هذا العدد بنشر المقالات الفكرية (الايديولوجية) والسياسية، التي تتناول المشروع القومي العربي، قضايا العالم العربي الراهنة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وكانت اسرة التحرير، وجهت الدعوة للمساهمة النشطة في هذا الحوار من على صفحات المجلة، للكتاب العرب والفلسطينيين، بهدف تعميق محتوى ومضمون القضايا التي تواجهها البلدان والشعوب العربية في مختلف الميادين، وتبيان السبل الكفيلة بتذليل العقبات التي تقف امام الشعوب العربية، الساعية الى التقدم والتحرر والديموقراطية، والشعب العربي الفلسطيني المكافح في سبيل حريته واستقلاله.

لماذا التوجه القومي هو خيارنا؟

احمد ابو غوش

اساس نظري

الحقائق الموضوعية المطلقة مستقلة عن الذات في وجودها، وتماما كما الجاذبية موجودة وفاعلة ، بغض النظر، قبلها الانسان او رفضها، اكتشفها ام لم يكتشفها، اعترف بها بعد اكتشافها ام لم يعترف بها، تظل موجودة وتثبت نفسها في مواجهته، والذات سواء كانت فردا او جماعة لها بالتعميم نفس سمات الفرد، الجسم المحدد، الوعي للموضوع، التصرف اتجاهه، وهي تؤثر بالموضوع وتتأثر به وتتفاعل معه، لكنها وان كانت لها حريتها، لا تستطيع القفز عن الموضوعي في الفعل والتطور الاجتماعي، بل محكومة بالتطور في ظل سيرورته، وصيرورته، مع اهمية ادراك التأثير على الشكل النسبي، والقدرة على التعطيل المؤقت .

في الواقع الاجتماعي الذات هي موضوع في نفس اللحظة، فالطبقة العاملة ذات اذا كانت لها حريتها واهدافها وحركتها النضالية، وكل ما حولها عوامل موضوعية تؤثر بها من حيث ما تقرره من فعل في مواجهة فعلها، ومن حيث ان لها استقلال، وبعضها اجتماعي له وعي وفعل منظم ومخطط ونابع من ارادة ومصلحة . وهو ذات، بما يتعلق بوعيه واهدافه وفعله نحو تحقيقها، وينظر الى الطبقة العاملة كعامل موضوعي يؤثر عليه . اذا الذات والموضوع في الواقع الاجتماعي يختلف كليا عن الذات الانسانية في مواجهة الموضوعي في الطبيعة، فالطبيعة وقوانينها الموضوعية ليست ذاتا لها وعي وانما موضوع اصم له الية فعل صماء تعمل بشكل آلي وتؤثر على الذات البشرية سواء كانت فردا ، حزبا، امة، او الكل البشري، لذا فان الصراع بين الذات والموضوع الاجتماعيين اكثر حيوية وحدود المناورة فيه اوسع، والموضوعية في صيرورته قابلة للتلون، لكنها ومهما اعيقت زمانيا قابلة للتحقيق ضمن سمات التطور الموضوعية .

من المنطلقات النظرية السابقة يمكن القول ان الناس لهم الحرية والخيار ولكن مصلحتهم تقتضي بالضرورة الحد من خياراتهم وبالتالي الحد من حريتهم، فالناس يمكنهم، لو ارادوا، ان يحيوا كقطيع حيواني. ولكنهم في هذه اللحظة لن يتميزوا كبشر لهم طاقة عقلية اعظم، لذلك كانت العائلة والقبيلة واتحاد القبائل والقوميات والامم صيرورات حتمية في سياق تطورهم اقتضتها مصلحة البشر، وقدراتهم الكامنة المتميزة عن بقية الكائنات الحية. وخير

Digitized by Birzeit University Library

مثال على الحرية المطلقة، ولكنها حرية قد تؤدي الى الموت، ان قبيلة ما كان لها الحرية في ان تندمج او لا تندمج مع قبائل اخرى لتشكل اتحاد قبائل، ولكنها ان اصرت على عدم الاندماج ستكون اضعف وقابلة للضم بالقوة لهذا الاتحاد او ذاك لتنتهي بالضم والذوبان، فهي لها حرية، وحريتها قد تعيق قليلا هذه الصيرورة او تلك لكنها على الاغلب لن تمنعها. وهكذا الامة المجزأة لها الحرية في ان تتوحد او ان تظل مجزأة، وان بقيت مجزأة في واقع من مصلحة البشر فيه خلق اتحادات اتنو ـ اجتماعية اكبر تمكن من التطور الى اعلى ستحكم على نفسها بالدمار وستلحق لتصبح تابعة وعاجزة عن تحقيق ذاتها.

الذات سواء كانت فردا، حزبا او جماعة اتنو اجتماعية، لها وعي وارادة واهداف، ومن الجدير بالذكر هنا ان تحقيق هذه الاهداف والرغبات بارادة الذات يصطدم دائما باهداف ورغبات ذوات اخرى وفي كل مرحلة معطاة، اي في كل ظرف محدد، تحقيق هدف ما لذات ما مرهون بقدرة الذات وامكانياتها الكامنة، ومرهون ايضا بالشروط الموضوعية التي خلقها التصادم بين مصالح اكثر من الذات لتحقيق اهداف يتعارض تحقيق احدها مع الاخرى، وبذلك السيرورة والصيرورة لا تحدث بدون صراع وقد يكون داميا اذا كان تعارض المصالح في تحقيقها حادا.

نظرة على الوضع الراهن للامة العربية

العرب جماعة اتنو ـ اجتماعية توحدهم اللغة المشتركة والثقافة المشتركة ويقطنون على ارض تمتد من الخليج الى المحيط، وكانت تجمعهم عبر معظم المراحل وحدة هي التي كونت على اساس تاريخي انتماءهم القومي، كانوا قبائل واتحادات قبائل واسسوا الممالك والحضارات المزدهرة، وبنوا كيان الدولة الاسلامية فكانوا عمادها في مراحل تاريخية مهمة، فتشكلوا في قومية عربية. والقومية "شكل تاريخي لاجتماع الناس يتميز بوحدة الارض والعلاقات الاقتصادية الاقليمية واللغة (المتعددة اللهجات). وبما ينمو على اساس هذه الوحدة من وعي للانتماء القومي"-(١). في هذه المرحلة تنتقل الجماعة الاتنو-اجتماعية من التنظيم العشائري الى المجتمع الطبقي، وفيها وحدة الروابط الاقتصادية هي الاساس، ووعيها الى نفسها اوسع من الانتماء العرقي، وتتطور لغتها وثقافتها، وتتميز بوحدة وصراع الطبقات فيها. وبهذا يلاحظ ان للقومية نفس سمات الامة، الا ان الامة تتميز عن القومية "بتبلور ادق للتوزع الطبقي، للملامح الاجتماعية والسياسية والروحية، وبازدياد متانة كل الطبقات المؤلفة للامة، وكنتيجة لذلك فاللغة في حالة الامة كوعاء للثقافة اوسع واعمق، والانتماء للارض بسبب الثقلة النوعية في الوعي، وبسبب تكريس الملكية الخاصة بشكل اعمق، يصبح اقوى، والتشكل النفسي للامة بسبب الانتقال التاريخي النوعي في سيرورتها وصيرورتها اكثر تبلورا، والروابط الاقتصادية تقوم، وهنا المفصل الاساسي، على اساس اهمية وحدة الجماعة الاتنو ـ اجتماعية الداخلية وتمايزها عن الجماعات الاتنو-اجتماعية الاخرى، بل لوجودها كذات جماعية في حالة تناقض مع الخضوع لجماعات اخرى او حتى الاندماج بها، مما يبرز استقلالها كشرط اساسي ليعمق تبلورها وكشرط ضروري لتبلورها.

مما سبق يمكن القول ان العرب بدأوا يتبلورون في قومية عربية منذ قيام الدولة العربية الاسلامية، وتعمق انتماؤهم القومي في العهد الاموي والعباسي، بدليل بروز الشعوبية وتعمقها في مواجهة سيطرة العرب هذه الدولة (٢) الا ان الفكر الاسلامي الذي لا يقوم على اساس قومي، ومتغيرات اقتصادية اجتماعية ترادف معها اختلاف سياسي لما يجب ان تكون عليه الدولة الاسلامية ساهم لتعميقه للصراعات الداخلية في تفتت الدولة العباسية، وسيطرة غير العرب عليها، بالاضافة الى تعرض الارض العربية للغزو البربري المغولي، والغزوات الصليبية، مما ساهم في تخلف المنطقة العربية وانقسامها. ثم جاءت السيطرة العثمانية لتعيد مركزة الدولة الاسلامية ولينشأ المركز الاول مرة خارج الارض العربية. ان وجود المركز خارج الارض العربية او فوق ارضها له اثره العظيم في شم خاصية الدولة المركزية العربية، والاستبدادية الشرقية عموما، ففي مثل هذه الدول تقوم الدولة ويزدهر تطورها بالنهب الداخلي القائم على فرض شتى انواع الضرائب، وبالنهب الخارجي القائم على تدمير محيط الدولة، وتتجمع هذه المنهوبات في مركز الدولة على حساب المحيط الداخلي فيها وعلى حساب محيطها الخارجي.

وفي ظل الدولة العثمانية تعاظم النهب للارض العربية وناسها، فقد بلغت الضرائب ٩٧ نوعا، فرضت بمسميات مختلفة على المناطق العربية، وكرست السلطة العثمانية العزلة التامة على الارض العربية مما ساهم في تخلف العرب في كل المجالات.

لقد اطل العصر الحديث على الوطن العربي والعرب وهم رازحون تحت السيطرة العثمانية الاستبدادية، ويعانون من اقسى حالات الاستغلال، مما راكم تخلفهم، في نفس الفترة التي بدأت اوروبا فيها تصحو من تخلفها الاقطاعي، وتتبلور في امم رأسمالية، حيث قامت- وهذا شرط اساسي لتطورها باستعمار العالم والسيطرة عليه،

Digitized by Birzeit University Library

ومنه الوطن العربي، لنهب موارده ، ولتحويله الى اسواق مفتوحة لسلعها المصنعة .

في هذه المرحلة تعرض الوطن العربي، كواحد من اهم المواقع الاستراتيجية في العالم للسيطرة الاستعمارية الاوروبية، قامت على اساس نهبه وتجزئته تجزأة لم يعرفها قط، لقد كانت تجزئة الوطن العربي، كما اكد خبراء الاستعمار البريطانيون وكما جاءت في مقررات مؤتمر برترمان، خوفا من وحدته، فوحدة هذه الارض الشاسعة، بسكانها الذين يملكون تراثا حضاريا معاديا لاوروبا، وبخيراته الاقتصادية العظيمة، كفيل بان يشكل خطرا على الدول الاستعمارية ومصالحها في مستعمراتها، ومن الملاحظ ان انشاء اسرائيل كان هدفا اوروبيا قبل ان يكون هدفا صهيونيا، وذلك لفصل شرق الوطن العربي عن غربه، كما جاء في قرارات مؤتمر برترمان، وكما اتضح من التوجهات السياسية لبريطانيا وفرنسا الاستعماريين قبل ذلك . (٣)

من الملاحظ ان العرب في نهاية السيطرة العثمانية وقبل قيام حركة الاستعمار الحديثة بدأوا يستفيقون من سباتهم، وبدأت الدعاوي القومية وحركاتها تتبلور في الارض العربية، وهذا واضح في حركة محمد علي، وتأثيرها على ابنه ابراهيم باشا الذي دعا (الى ارجاع وطن العرب للعرب واشراكهم في جميع المناصب .. فيجعل منهم شعبا موجودا قائما بذاته" وفي دعوة حمدان خوجة في المغرب الى "الاعتراف بالقومية العربية في الجزائر" ومن قول عبد القادر الجزائري " ان هذه القارة هي بلاد العرب". ومن قيام الجمعيات السرية في بلاد الشام والعراق كالجمعية العلمية السورية ١٨٥٧ وجمعية احرار حمص، وجمعية حفظ حقوق الملة العربية ١٨٨١ والجمعية الوطنية السرية ١٩٠٩ وجامعة الوطن العربي ١٩٠٥ وغيرها، بالاضافة الى الحزب الوطني في مصر ١٧٩٦ والثورة العراقية ١٨٨١ /١٨٨٢ ، والثورة المهدية في السودان، والثورة العربية الكبرى في شرق الوطن العربي، مع ما ترافق مع ذلك من بروز قادة ومفكرين يدعون للاستقلال عن السيطرة العثمانية (٤).

لكن السيطرة الاستعمارية الحديثة على الوطن العربي وتجزئته بالقوة اعاقت مرة اخرى التبلور القومي الصاعد، واغلقت الابواب امام الصحوة القومية العربية، وكرست التجزئة العربية بشكل يضمن عدم تطور هذه الاقطار، لقد فصلت بين مصر كثيرة السكان والسودان شاسعة المساحات الزراعية وليبيا الغنية بالنفط، واقامت دولا كالاردن لا "للانتفاع من ثرواتها الطبيعية، حيث كانت هذه غاية ثانوية، بل بهدف الانتفاع من مركز البلاد الاستراتيجي لغايات اقتصادية وسياسية وعسكرية خارجها " (٥). وجزأت المناطق النفطية في دول صغيرة لتظل بلا قوة ولا سند، وحتى بلا سكان ينتفعون بالاموال الطائلة التي سيدرها النفط . وكانت النتيجة قيام اثنتين وعشرين دولة عربية مفتتة في الوطن العربي وهي بشكل عام "شقان لقسم واحد هو الدول المتخلفة، "مستوى دخل الفرد في بعضها كالامارات مرتفع جدا حيث وصل ١٩٢٧٠ دولارا سنة ١٩٨٥ ، ومنخفض جدا في دول اخرى كالسودان حيث بلغ (٣٠٠) دولارا . بعض الدول فيه من الدرجة الصفرة من حيث التصنيع (الصومال جيبوتي، وموريتانيا) واخرى متقدمة نسبيا (مصر، العراق، السعودية). بعض دوله قليلة السكان ، اقل من مليون نسمة كقطر والبحرين، ويتجاوز المليون قليلا، كالكويت وعمان والامارات، واخرى كثيرة السكان كمصر والعراق والمغرب والسودان، بعضها لم ينفق على التعليم الا (١٨) دولارا للفرد الواحد كاليمن، وبعضها الآخر انفق ٢٨٠ دولارا للفرد الواحد كالسعودية، بعضها يعيش حالة الجوع والعدم، والبعض الاخر يعيش حياة بذخ وترف (٦).

نظرة على الواقع الدولي الذي نعيش فيه

أ) تطور لا متكافيء - وتقسيم دولي للعمل يكرس الفقر والتخلف .

قد يبدو من نافل القول التأكيد هنا ان العالم منذ بزوغ النمط الرأسمالي صار اكثر وحدة وتقاربا، فقديما كما هو الوضع حاليا كان هنالك تفاوت في التطور، وكانت تنشأ حضارات مختلفة هنا وهناك، وقامت بينها علاقات تجارية وتواصل، الا ان الوحدة العالمية لم تكن ابدا بمثل هذه الصورة التي نحياها اليوم . العالم في ظل قيام دول رأسمالية كرس الوحدة بين هياكل اجتماعية اقتصادية على اساس وجود دول الامم واتحادها، بغض النظر عن بعض الشواذ هنا وهناك، وتحقق تقدم علمي حول العالم من حيث القدرة على الوصول الى المكان، ومن حيث الصلة بين اجزاء العالم المتباعدة الى عالم واحد تقريبا .

وقد كان لانتقال اوروبا المبكر والريادي الى النمط الرأسمالي اثره على تقدم امما فاخضعت بالقوة والنار امم العالم الاخرى لسيطرتها المباشرة . وفي ظل هذه السيطرة فرضت تقسيما دوليا للعمل يقوم على تخصص الدول الرأسمالية في انتاج السلع المصنعة، وتخصص بقية الدول في انتاج المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة. وفي هذه المرحلة تعرضت موارد وخيرات وجهد الناس المبذول في انتاجها في العالم الفقير للنهب من قبل الرأسماليات الاوروبية لتتكدس الثروات فيها وتساهم في تطورها

Digitized by Birzeit University Library

على حساب تكريس التخلف في مناطق العالم الاخرى، وبعد انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، والصين، وتشكل المنظومة الاشتراكية ، برزت في العالم قوة مناهضة ومعادية لدور هذه الرأسماليات ونشاطها العالمي القائم على الاستغلال والاضطهاد ، وكان للتحالف الذي قام بين قوى التحرر العالمية والمنظومة الاشتراكية اثره الكبير في انهاء شكل الاستعمار القديم والدفع باتجاه استقلال الغالبية العظمى من امم العالم سياسيا .

انجاز الاستقلال السياسي بعد الحرب العالمية لغالبية امم العالم لم يكن وحده كافيا للقضاء على استغلال المراكز الامبريالية لهذه الامم، ولا للحد من نهبها اقتصاديا، اذ كان للفترة التي عاشتها تحت السيطرة الاستعمارية المباشرة دورها في حدوث تحولات بنيوية في بنيتها الاجتماعية - الاقتصادية، بسبب ايلاج العلاقات الرأسمالية فيها بما يسهل آلية النهب ويسارعه لتستمر التبعية البنيوية بعد انجاز الاستقلال السياسي للمراكز الامبريالية، مما حقق للامبريالية الاستمرارية في نهب هذه الامم وان كان هذه المرة عبر التبادل التجاري غير المتكافيء وبهيمنة رأس المال العالمي، ونشاطات الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات (التي سيطرت على ٢٠٪ من الناتج الاجمالي للعالم (بدون المعسكر الاشتراكي) سنة ١٩٨٠، وبلغت صادراته من دول المقر اي بدون حساب صادرات الشركات التابعة) ٣٤٥ مليار دولار ، اي ١٧,٥٪ من اجمالي صادرات العالم، وزادت الاصول المملوكة من قبلها عن طريق الاستثمار المباشر (خارج دول المقر) من (١٦) مليار دولار سنة ١٩٦٠ الى ٦٢٥ مليار دولار سنة ١٩٨٣ (٧) *

في هذه المرحلة حدث تقسيم دولي جديد للعمل سمح بقيام بعض الصناعات في دول المحيط اما للتخلص من بعض التكاليف الاجتماعية المرتفعة (كما في حالة الصناعات الملوثة للبيئة) او للتمتع ببعض المزايا المتوفرة لدى هذه الدول (وجود الطاقة الرخيصة، او العمالة الماهرة) (٨)، ولكن هذا التغيير لم يخفف من وطأة استغلال المراكز الامبريالية للمحيط ، اذ تعمق التفاوت في التطور في هذه المرحلة بشكل غير معقول، (ففي عام ١٧٧٠ كان نصيب دخل الفرد من الناتج الوطني الاجمالي في اوروبا ٢١٠ دولار ولم يكن يزيد بكثير عن نصيب الفرد من الناتج الوطني الاجمالي في الدول المسماة بالنامية، حيث بلغ ١٧٠ دولارا للفرد الواحد ، ولكن التفاوت بدأ بالتعمق مع الزمن، فوصل نصيب الفرد من الدخل الوطني الاجمالي في اوروبا سنة ١٨٧٠ الى ٥٥٠ دولارا بينما نقص في دول العالم المسماة بالنامية ليصل الى (١٦٠) دولارا في نفس السنة . اما في عام ١٩٧٠ فقد بلغ في اوروبا ٢٥٠٠ دولارا ووصل في الدول المسماة بالنامية الى (٢٤٠) دولارا فقط (٩) وتشير الاحصائيات المتعلقة بحصة البلدان المسماة نامية من التجارة الدولية الى هذه الحقيقة، فقد بلغت سنة ١٩٥٠ ٣١٪ وفي عام ١٩٦٠ ٢١٪ وفي عام ١٩٧٠ ١٨٪ وفي بداية الثمانينات ٢٠٪ (١٠). اما تطور مديونية هذه الدول، حيث كانت ١٨ مليار دولارا عام ١٩٦٠ ووصلت الى ٦٠٠ مليار دولار سنة ١٩٨٢، فيبين فداحة الاستغلال المفروض على هذه الدول من قبل المراكز الامبريالية (١١).

وتشير الدلائل انه منذ السبعينات بدأ يتبلور تقسيم ثالث للعمل ، يقوم على اساس تخصص دول المركز الامبريالي بالتصنيع المعقد والمتطور، وقيام دول ثانية بالتصنيع الوسيط والتقليدي، لتحتل مرتبة وسط بين الدول الرأسمالية الصناعية والدول الفقيرة المتخلفة، ومن الجدير ذكره ان الدول الثانية هي اكثر الدول تبعية للمراكز الامبريالية كتايوان وكوريا وسنغافورة، اما مصر فيبدو انها تخطو هذا الطريق .

ب - من توازن القوى الى توازن المصالح .

لقد كان لانتصار الاتحاد السوفييتي على النازية وتوسع نطاق الكتلة الاشتراكية جغرافيا وسكانيا اثره على توازن القوى الدولي، فقد تكرس بعد الحرب الكونية الثانية سيادة قوتين عظيمتين وكان لتوازن القوى بينهما اثره في كبح قوة المعسكر الامبريالي وتقييد حريته في قمع شعوب العالم . وفي هذه المرحلة دعم الاتحاد السوفييتي نضال الامم التحرري، وناضل بكل طاقته من اجل انتصار الاشتراكية كنظام اجتماعي اقتصادي قادر على انجاز فك الارتباط بالهيمنة الامبريالية وتحقيق الاستقلال التام . وقد تحققت انجازات مهمة على هذا الصعيد ، فقد جعل النظام العالمي القائم على توازن القوى من امكانية انتصار ثورة على النظام الامبريالي امرا ممكنا اذا تحقق في بقعة ما توازن ذاتي لمصلحة الثورة، وانتصار السندونستيين في نيكاراغوا على حدود الولايات المتحدة افضل دليل على ذلك .

ومنذ خمس سنوات بدأ يتبلور في الاتحاد السوفييتي نهج جديد سمي بالبيروسترويكا ولا نريد ان نناقش هنا هذه المسألة بل نود ان نبين اثرها على توازن القوى الدولي، وانعكاس ذلك على الثورة والتحرر في العالم . ان الكثير من الجمل المنمقة التي قيلت عن البيروسترويكا لا تصمد كثيرا امام الممارسات على الارض والتي كان من اهم نتائجها، تراجع الاشتراكية في اكثر من بلد، والتخلي عن

Digitized by Birzeit University Library

المانيا الشرقية، والقبول بانضمام المانيا الموحدة الى حلف الاطلسي، واعتماد سياسة توازن المصالح بدلا من سياسة توازن القوى، وباختصار يبدو ان الاتحاد السوفييتي تخلى عن التخندق في مواجهة الامبريالية واختار طريق التفاوض معها ولو كان ذلك على حساب انتصار قوى الاشتراكية والتقدم في العالم . هذه السياسة اطلقت يد الامبريالية وادت الى تراجع المد الثوري في العالم، وما يحدث في الخليج العربي، وموافقة الاتحاد السوفييتي على محاصرة العراق، وفتح الحدود امام هجرة اليهود من اراضيه الى فلسطين اوضح مثال على تراجع دوره الثوري في مواجهة الامبريالية .

ازمة الواقع العربي

تتمثل ازمة الواقع العربي في ثلاث مظاهر اساسية

الاولى - التخلف، الوطن العربي بمعظم المقاييس متخلف، فمجمل الديون العربية تزيد عن ٢٠٠ مليار دولار سنة ١٩٨٩ ، وخدمة الدين ١٨ مليار دولار سنويا ولا تزيد مجمل الصادرات عن ١٢٠ مليار دولار، وهذا يعني ان خدمة الديون تشكل ١٨٪ من صادرات الدول العربية السلعية، هذه نتائج معممة اذ تدخل في الحسابات هنا دول بترولية لديها فائض مالي . فاذا كانت صادرات الدول النفطية بقيمة ٧٨ مليار دولار وصادرات الدول غير النفطية بقيمة ٤٢ مليار دولار سنة ٨٩ ، ولان الدول المدينة هي غير النفطية (باستثناء الجزائر)، فان خدمة الديون تشكل اكثر من ٤٢٪ من مجمل صادراتها (١٢).

قد يقول البعض ان الوطن العربي غني، وهذا غير صحيح لانه لا يمتلك الا عوائد مالية من نفط لن يدوم طويلا فلو نضب النفط بعد خمسين عاما لن يتبقى لهذه الدول اي مظهر من مظاهر الغنى، ان الغنى او الفقر لا يقاس بعوائد زائلة، بل بالقدرة الانتاجية، فعلى سبيل المثال يعتبر الوطن العربي اكبر مستورد للمواد الغذائية بالرغم من وجود ارض غير مستغلة في السودان قادرة ان استغلت بشكل صحيح على انتاج احتياجات كل الوطن العربي من الغذاء، فقد استورد الوطن العربي سنة ٨٥ منتجات غذائية بقيمة ٣٦ مليار دولار وهو ما يعادل ٦٥٪ من قيمة مدارته (١٣).

ومن ابرز علامات التخلف اعتماد كل قطر عربي على سلعة واحدة في التصدير، اذ شكل البترول ٩١ر٧٪ من صادرات الجزائر و ٩٠٪ من صادرات العراق و٩٩ر٧٪ من صادرات السعودية و ٩٤ر٩٪ من صادرات الامارات و ٩٩٪ من صادرات ليبيا و ٧٨ر٢٪ من صادرات البحرين و ٤ر٩٩٪ من صادرات عمان و ٩ر٩٨٪ من صادرات قطر اما مصر فيشكل القطن والارز ٢ر٢٢٪ من صادراتها، ويشكل الفوسفات ٤ر٢١٪ من صادرات الاردن، ويشكل الفوسفات مع الحمضيات ٤ر٤٥٪ من صادرات المغرب ويشكل القطن + النفط الخام ٣ر٧٨٪ من صادرات سوريا ويشكل النفط والفوسفات وزيت الزيتون ٤ر٥٣٪ من صادرات تونس وتشكل الحيوانات + الموز ٨ر٩٥٪ من صادرات الصومال ويشكل القطن والصمغ والفول ٨ر٧٥٪ من صادرات السودان ويشكل الحديد +السمك ٨ر٩٧٪ من صادرات اليمن الشمالية ويشكل النفط ٢ر٨٣٪ من صادرات اليمن الجنوبية (١٤).

الثانية - التبعية: قلنا ان الوطن العربي تعرض للسيطرة الاستعمارية المباشرة لفترة طويلة تم خلالها تجزأته، وتم قبلها وخلالها وبعدها التأثير على البنى الاجتماعية الاقتصادية لهذه الاقطار دفعا باتجاه بلورة بنى تابعة ومرتبطة بنيويا بالمعسكر الامبريالي.

لقد انتجت تلك العملية التاريخية اثارا اقتصادية واجتماعية وثقافية هامة، حيث ادت الى تفكك وتحلل العلاقات بين مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني في الدول التي خضعت للسيطرة الرأسمالية، وارتباطها بعلاقات غير متكافئة بالمراكز الامبريالية يعاد تجددها باستمرار، وان بوسائل مختلفة، .. وادت الى خضوع التطورات الاقتصادية في الدول المستنزفة للتطورات في النظام الرأسمالي في الدول المتقدمة "(١٥).

ان اهم السمات التي تؤكد التبعية في الوطن العربي هي سيطرة برجوازيات طفيلية بجذورها الكومبرادورية، على الغالبية العظمى من اقطاره "وهي في غالبيتها لها جذور اقطاعية مما جعلها تميل لاشكال الاستثمار العقاري، والمضاربة في الاصول العينية، ففئة رجال الاعمال الذين تتكون منهم عناصر "الرأسمالية المحلية" هي من الفئات التي تنشط في قطاع التجارة والمال والمقاولات والخدمات بصفة اساسية، ويقف على رأسها فئة المصدرين والمستوردين والوكلاء التجاريين، وتجار الجملة واصحاب التوكيلات الملاحية، واعمال التخليص والشحن والتفريغ، واصحاب اساطيل النقل ، والسماسرة، والدلالون العقاريون، واصحاب الفنادق والوكالات السياحية، وكلها مرتبطة وتنمي آلية التبعية للمراكز الامبريالية" (١٦).

ومن اهم دلالات تبعية معظم الاقطار العربية هو حجم التجارة الخارجية مع العالم الخارجي، فقد ارتفعت من ١٢ر٤ مليار دولار عام ١٩٦٠ الى ١٥١ مليار دولار سنة ١٩٧٧، اي تضاعفت (١٢) مرة اما

Digitized by Birzeit University Library

حجم التجارة العربية فلم يتعد ٦٪ من حجم التجارة العربيه (١٧).

والة اخرى اكثر اهمية، ان لا زال العرب يصدرون المواد الخام ويستوردون المواد المصنعة، فقد شكلت المواد الخام ٨٢٪ من مجمل صادرات الوطن العربي سنة ١٩٦٠ وفي عام ١٩٧٧ زاد نصيبها ليبلغ ٩٥٪ من مجمل الصادرات، ومن ناحية الواردات كان نصيب السلع المصنعة والغذية ٧٧٫٤٪ من مجمل الواردات عام ١٩٦٠ وزادت نسبتها لتصل الى ٨٥٪ من مجمل الواردات (١٨) وتكتمل الصورة اذا اكدنا ان الشركاء الاساسيين للتجارة الخارجية للعرب هم الولايات المتحدة ودول اوروبا واليابان .

الثالثة - العجز - ان النتيجة الحتمية للتبعية والتخلف اللذين يعيشهما الوطن العربي هي العجز . فالانظمة العربية المجزأة القوى المتخلفة اقتصاديا وثقافيا والضعيفة عسكريا، والتابعة سياسيا للامبريالية، غير قادرة ولا مؤهلة ان تنجز اهداف الجماهير العربية القومية، فهي لن تحقق الوحدة لانها من صنع الامبريالية وخادمتها، ولن تحرر الاجزاء المغتصبة لانها ضعيفة ولا تملك ارادة نفسها، ولن تحقق تقدما اجتماعيا - اقتصاديا لانها صنيعة الامبريالية واداتها في نهب خيرات الوطن العربي .

ما هي خياراتنا ؟

اذا كان هذا هو واقعنا، واذا كان العالم اليوم محكوم بالاقوياء وتسود فيه علاقة اللا تكافؤ ، والاستغلال والاضطهاد، واذا تميز عقد التسعينات بتراجع الاتحاد السوفييتي حليف الفقراء والضعفاء عن موقعه الصدامي مع الامبريالية ، فما هي خياراتنا ؟.

ان خياراتنا ثلاثة وهي :

أ - النضال من اجل استقلالنا وحريتنا الكاملة، . . . . . وفك الارتباط مع الامبريالية، والقضاء على الانظمة التابعة في الوطن العربي .

ب - النضال من اجل الوحدة، فبدونها لن نستطيع انجاز التقدم، فكما لاحظنا كانت التجزئة من اهم عوامل تخلفنا وتبعيتنا .

ج - النضال من اجل تنمية واقعنا الاجتماعي والاقتصادي، على اساس التنمية المستقلة، وعماداها، استغلال مواردنا الاقتصادية على اساس تطوير هيكلية انتاج قومي ، وتطوير الانتاج والعمل على زيادة الاستهلاك على قاعدة الانتاج القومي، وتكريس تنمية متمحورة على الذات، والنضال من اجل تلبية الاحتياجات الاساسية للمجتمع، ومحاربة الاثرياء الاقلية وتهميش غالبية الجماهير واعتماد مبدأ ديموقراطية المنتجين ، واعتماد وتطوير التكنولوجيا الملائمة قوميا وبناء قاعدة علمية وتكنولوجيا قومية، والحفاظ على التراث القومي، والامم هو فك الارتباط بالمركز الامبريالي بالانسلاخ الانتقائي عن النظام العالمي لمواجهة النتائج المدمرة النابعة من الاندماج فيه (١٩).

الخيارات الثلاثة هي خيار واحد واحد، وهو النضال من أجل الوحدة والتحرر والتنمية والقومية المستقلة، على اسس ديمقراطية، وهو خيار ممكن التحقيق للاسباب التالية:

أ- منسجم مع التطور التاريخي، فالوحدة واقامة الدولة القومية هي الصيرورة الحتمية لامة واحدة، والعائق الوحيد امام تبلورها في الواقع العربي هو الدور المعيق والعدائي لهذه الوحدة الذي يمارسه اعداؤها الداخليون والخارجيون، فالوحدة ضد مصلحة البروجوازيات التابعة التي تسيطر على اقطار امتنا المجزأة، وهي ضد مصلحة الامبريالية العالمية التي تستنزف خيرات جماهيرنا الاقتصادية وعرقها وجهدها اليومي .

ب- لانه منسجم مع منطق العصر، فالعالم كما اشرنا الى أهم ملامحه، يكرس الان الكيانات الاقتصادية الكبيرة ، فهذا شرط مهم للتقدم في عالم تسوده المنافسة والتنازع الاقتصادي والسياسي، من هذا المنطلق ستتحد دول اوروبا وامما في دولة واحدة. فالاجدر بنا ونحن امة واحدة ان نحقق الوحدة، فبفضلها سنستطيع الاستفادة من مواردنا بشكل متكامل وستتحقق لنا كل المميزات المتوفرة لسوق اقتصادي كبير، هذا عدا عن اهمية الوحدة لخلق قوة عسكرية ومكانة سياسية للعرب .

ج - هناك اساس مادي لهذا المشروع، وهو وجود القوى الطبقية العربية التي من مصلحتها قيادة انجازه، فايلاي العلاقات الرأسمالية في الاقطار العربية لم يفرز طبقة رأسمالية طفيلية مشوهة وتابعة فقط، بل ساهم في تبلور طبقات اجتماعية اخرى كالطبقة العاملة والشرائح الاجتماعية الوسطى، والفلاحين الفقراء. والطبقات الشعبية هذه ضد التبعية، ومع الحرية والاستقلال، ضد التجزئة ومع الوحدة، ضد التخلف ومع التنمية المستقلة، وهي ان خلقت اطارها القومي الثوري قادرة على انجاز اهدافها ومصالحها . ولا خيار لها الا ان تنجزها.

الهوامش :

١) كالتشختاين - نظرية الامة في الماركسية اللينينية - موسكو - دار التقدم - ١٩٨٨ ص ٦٢.

٢) د. عبد العزيز الدوري - الجذور التاريخية للشعوبية - بيروت، دار الطليعة.

٣) راجع د. اميل توما - الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية - القدس ١٩٧٦. ففيه اقتطافات كثيرة توضح العلاقة بين السياسة التوسعية

Digitized by Birzeit University Library

لبريطانيا وفرنسا ودعم الصهيونية.
٤) راجع د. عماد عبد السلام رؤوف - تطور الفكر القومي عند العرب الجمعيات العربية وفكرها القومي - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦.
٥) هاني حوراني - التركيب الاقتصادي لشرق الاردن - مقدمات التطور المشوه - مجلة شؤون فلسطينية بيروت عدد ٦٥.
٦) د. رمزي زكي - الاقتصاد العربي تحت الحصار - بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية سنة ١٩٨٩ ص٢٨-٢٩.
٧) مداخلة د. اسماعيل صبري عبدالله - ندوة التنمية المستقلة - بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٧.
٨) د. ابراهيم سعد الدين عبد الله - ندوة التنمية المستقلة - النظام الدولي وأليات التبعية - بيروت - ١٩٨٧ ص١٠٠.
٩) يوري يُدبوف، دراسات في الاقتصاد السياسي - موسكو - دار التقدم ١٩٨٤ ص ١٣.
١٠) يوري يُدبوف، نفس المصدر ص ٢٥.
١١) يوري يُدبوف، نفس المصدر ص ٢٠٧.
١٢) د. جواد العناني ندوة في التلفزيون الاردني.
١٣) د. رمزي زكي، المصدر السابق ص ٣٠.
١٤) تقرير الامين العام لجامعة الدول العربية ١٩٨٠ جدول رقم ٢٥ ص ١٤٥.
١٥) د. ابراهيم سعد الدين عبدالله - المصدر السابق ص ٩٣.
١٦) د. محمود عبد الفضيل، التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي - بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٨ - ص ١٥٦ - ١٦٠.
١٧) د. سعد الدين ابراهيم - النظام العربي الجديد - بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥ - ص ٢٥٨.
١٨) د. سعد الدين ابراهيم - المصدر السابق - ص ٢٥٨.
١٩) د. اسماعيل صبري عبد الله - المصدر السابق ص ٣٧.

ما بين "أصنام المسرح" و "البيكونية الثقية"...!

سمير رنتيسي

اين يقبع السؤال الثقافي في اولويات العمل الفلسطيني في الاراضي المحتلة؟!.

ثمة صياغة متواصلة منذ زمن لهذا المصير، حيث تكرست ودرجت العادة على ان تتم هذه الصياغة في قوائم الانتخاب المقررة سلفا، التي يلتحق بها في آخر لحظة بعض النقابيين الذين لا تربطهم بالسؤال الثقافي او نهج البحث في اجابة له علاقة تذكر! اي كما يقول شاعرنا المعروف:- «تتم هذه الصياغة، حيث يكون المسرح هو المسرح ذاته وحيث يكون الناخبون الذين سينتخبون هم الناخبون الذين لن ينتخبوا!».*

الا ان ما حصل ضمن هذا السياق في الماضي قد تم وحصل، ولم يأت التطرق اليه الا من باب الدخول بما للسؤال الاهم، الا وهو:-

- هل هنالك ثمة فسحة اضافية بعد استيفاء كل المستلزمات والاعتبارات الفئوية السياسية كي تنفذ الثقافة عبر عنق الزجاجة؟! او ربما الاصح كي ينفذ الابداع عبر هذا العنق الضيق؟!.

غير ان الاجابة على هذا السؤال يبدو انها لا تبرح مكانها - اي داخل قدرات وطاقات الضمير الفلسطيني الحي! هذا المدفون في ثنايا الفرد المبدع في الاراضي المحتلة ...، الماجز عن ترجمة ذاته وابداء بشكل خلاق عبر شبكة العلاقات القائمة في نظامنا الثقافي الابداعي! هذا النظام المتخلف دوما عن اتاحة الفرصة - احيانا ايما فرصة - امام الطاقة والقدرة الابداعية المتفجرة، المتشوقة للانعتاق، التحرر من اشكال القوالب الجامدة، وبالتالي الانطلاق في رحلة الابداع ...!.

والا ...! فما الذي يحول دوننا ودون خروج ابداعاتنا وتبلورها في فضاء سمائنا الرحبة كأحد الاشراقات النضرة لوجه حضارتنا؟! وما الذي لايزال يقف عائقا امام بروز وتفجر ابداعاتنا الثقافية في كنف مرحلة تاريخية تتفجر فيها طاقات النضال الشعبي فتبلغ ذروة ذراها مستوفية بذلك شروط الابداع الحقيقي على ارض الواقع؟!.

وما الذي يمنع خيالنا من التزاوج مع واقعنا المحيط كي ينطلق الاثنان في سيمفونية التبلور المشتركة، هذه التي ستدشن لنا ثقافة من طراز جديد ...، ثقافة ترتقي الى مستوى الابداع الشعبي اليومي المتفجر عبر وقائع النضال المتواصل؟!.

ليس ثمة شك ان الاجابة / الاجابات على مجمل هذه الاسئلة هي فقط تلك التي تستطيع تلمس عمق الجرح القائم في

Digitized by Birzeit University Library

نظامنا الثقافي، ويكون بذلك التمهيد الضروري من اجل تطهير الجرح وتضميده، والانطلاق مجددا مع التزام الحرص على عدم تكرار جرح كهذا او حتى اتاحة الفرصة لمجرد السماح بوقوعه!.

الا ان الجرح لايزال قائما ويتمثل في هذا التخويل المطلق الممنوح «لاصنام المسرح» (Theatri) في حق السيادة على صياغة السؤال الثقافي وعلى حق اختيار المنهج للبحث عن اجابة له. وللتوضيح، فالمقصود هنا «بأصنام المسرح» هي تلك الاوهام الناشئة نتيجة للنظرة غير النقدية، غير الفاحصة الى الاراء والنظريات المتوارثة، اي الاوهام اللا فطرية في عقلنا، التي تأتي نتيجة الانقياد للآراء الخاطئة والمفاهيم المغلوطة! ان هذه الاخطاء تتولد في عملية المعرفة نتيجة للتمويل الخاطىء على النظر العقلي في الاستنتاجات والبراهين، و «اصنام المسرح» تنطلق في منطقها الثقافي من القياس المنطقي، وهذا القياس يتألف من احكام، والاحكام بدورها - من مفاهيم، لكن المفاهيم تستخلص عادة، بواسطة التعميم المتسرع، دونما اساس منطقي يمكن الاطمئنان اليه، لذا فان الشرط الاول لاصلاح الثقافة، وتقدم المعرفة في نظرهم - هذا ان تقدمت - يكمن في تحسين طرائقهم في التعميم. انهم بذلك يعتقدون بصحة البرهان على فرضياتهم او مبادئهم في صياغة السؤال الثقافي، دونما ان يعنوا بتاتا بالوقائع التي تدحض وتتناقض مع تعميماتهم تلك، اي «بالامثلة السلبية» التي تكفي واقعة واحدة منها لتدحض تعميماتهم المتسرعة، انهم ببساطة يصوغون السؤال الثقافي في مجموعة من الاوهام والضلالات والاحكام الخاطئة.

اما المنهج الاخر لاصلاح الثقافي، فيمكن في تنظيف العقل من الاوهام، او العوائق التي يجب التحرر منها للوصول الى الحقيقة عند الاجابة عن السؤال الثقافي، لكن هذه المهمة السلبية لا تكفي بحد ذاتها، بل لا بد ايضا من منهج جديد في البحث، منهج يرتكز الى الفهم العادي للثقافة وظواهرها، ويكون هدفه بسط سيطرة الفلسطيني على الثقافة والابداع، وجعل الثقافة اكثر رونقة وجمالا، لكن هذه الناحية العملية في نهاية المطاف لا تعني ان البحث المنهجي يجب ان يقتصر على الامور ذات المنفعة العملية المباشرة فقط، فالثقافة ثورة معرفة جبارة، لكنها لا تصبح ثورة فعلية الا اذا استندت الى معرفة الاسباب الحقيقية الكامنة وراء العلل القائمة.

بهذا النوع من المعرفة سيتمكن الفلسطيني من السيطرة على الثقافة والابداع، وتسييرها في الاتجاه الملائم له، من هنا يمكننا الانطلاق في فهم جديد للثقافة، يعتمد الشك في كل ما كان يظن انه يقين حقا، غير ان هذا الشك ليس هدفا بذاته، بل وسيلة لاستكشاف آفاق الطريق المؤدية الى الحقيقة عند الاجابة عن السؤال الثقافي، ان هذا المنهج لا يمكن وصفه بأي حال من الاحوال بالربيبة، بل على النقيض من ذلك تماما، فهو منهج مفعم بالايمان غير المحدود بامكانية الوصول الى الاجابة الحقة.

من كل ما سبق يجب الانطلاق في البحث عن منهج الاجابة عن السؤال الثقافي من نقطة التمييز بين نهجين متباينين، احدهما دوغماتي (Dogmatic) والاخر تجريبي (Empirical)، ان المنهج الدوغماتي - اشبه ما يكون بالعنكبوت، الذي ينسج خيوطه من ذاته، بينما يسعى المنهج التجريبي الى المعالجة المستندة الى النظرية التي تقدمها التجربة، وهو في هذا اشبه بالنحلة التي تمتص من الزهور رحيقها الحلو، لكنها لا تبقيه على حاله، بل تحيله عسلا. ان التجربة - وهي هنا الدراسة الفعالة الهادفة للثقافة - هي التي بواسطتها يمكن استخلاص الاجابة على مجمل اسئلتنا المطروحة، فايهما حقا نختار؟!.

اختار نهج «اصنام المسرح» ؟!.

ام نهج «البيكونية النقدية» ؟!.

• بتصرف

آفاق فلسطينية في اصدارات جديدة

صدرت عن مجلة "آفاق فلسطينية" - جامعة بير زيت (الضفة الغربية)، اربعة ابحاث متفرقة تتناول عددا من الموضوعات المختلفة يتعلق اولها بالتاريخ وتتناول الثلاثة الاخرى جوانب متعددة يعيشها المجتمع الفلسطيني في عدد من المدن الفلسطينية.

يتناول البحث الاول ملخصا لموضوعة "التاريخ الشفوي"، وهو بحث واسع، يقوم باعداده المحاضر بدائرة التاريخ في جامعة بير زيت، عادل يحيى (أيلول ١٩٩٠). اما البحث الثاني فهو من اعداد الياس توما (جامعة كاليفورنيا - ديفيس) وسمير حزبون، المحاضر في دائرة الاقتصاد بجامعة بيرزيت، ويحمل عنوان "قضايا التصنيع في المناطق المحتلة" (تشرين الاول ١٩٩٠).

وتبحث الدراسة الثالثة في الاوضاع السكنية في مدينة القدس القديمة، بين الاستيطان ومجيء المسيح المنتظر "للباحث جراهام مكنيل"، وهي دراسة اعدها في العالقة الفكري العربي بالقدس، وقد نشر نص البحث باللغة الانجليزية (تشرين الثاني، ١٩٩٠).

وصدر البحث الرابع تحت عنوان "التغيير الاجتماعي في مدينة رام الله، المورفولوجيا والترييف والاقتصاد غير الرسمي"، ومن اعداد نائل يونس، نديم حمودة ونادية الانصاري وباشراف وتقديم سليم تماري، وقد ارخ له في ٢١ آذار ١٩٩١.

Digitized by Birzeit University Library

تشكيل فن الكاريكاتورة ومشروع الحرب والسلام

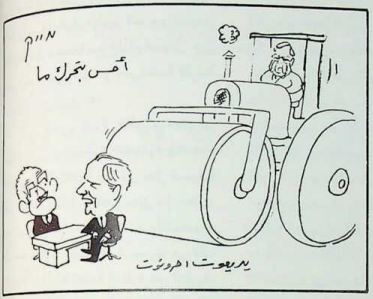

علي الجريري

تميز تشكيل فن الكاريكاتورة في حضوره مع الاحداث وقبلها وبعدها، فتابع تطوراتها وتنبأ بنتائج الامور قياسا على مقدماتها، فكان مرافقا للحدث ومع الحدث على غير بقية الفنون التي تتباين في تأخرها عن مواكبة المتغيرات او تعرج خلقها، ولما لهذا الفن من اثر وتأثير على استشراق المرحلة، لا يقل اهمية عن التحليل السياسي تجعل الناقد المحلل يقف عند بعض نماذجها غاضا طرفه عن مستوى التكنيك الفني وتفاوته بين فنان وفنان.

وفيما يلي عرضا لبعض الاعمال التي تمكننا من متابعتها من خلال الصحف والمجلات المحلية الفلسطينية والاسرائيلية، وبعض الصحف العربية.

اتجاهات السلام

الامر الذي يشترك فيه الفنانون يتفق على دفع عملية السلام وانجازها كي يتسنى للفنانين الانطلاق نحو الابداع الفني بعيدا عن الحروب وشبح الغرف المغلقة والمحكمة، وقد اتفق الفنانون الفلسطينيون والاسرائيليون من هذه العملية كما يبدو من خلال بعض النماذج المعروفة، اذ ان جميع الفنانين قاطبة اتفقوا في الدعوة الى السلام والتحريض ضد معوقاتها ورفض مواقف التردد التي تتخذها بعض الجهات والاطراف.

صحيفة معاريف: نشرت تشكيلا كاريكاتوريا تنتقد فيه انقسام الاسرائيليين من مسيرة السلام فتظهر دافيد ليفي متنكرا للسلام لافظا غصن الزيتون مكشرا عن انيابه على شكل ديك متأهب للنزال، بينما يظهر بيرس وقد استعد للسفر الى لندن يتمسك بغصن الزيتون، ويظهر التشكيل كذلك الاسرائيليون ينقسمون فيما بينهم حول هرم بيرس او يتحلقون حول عجلات ليفي التي يظهر حولها شخص شامير متدحرجا، بينما كان يظهر في مشهد آخر يجلس عل مقعد ينتظر حضور الممثل الفلسطيني والفنان اياه يصر على ابقاء مقعد الفلسطينيين فارغا يرد على شامير بانه لن يجد الفلسطيني الذي لا يختاره شعبه للجلوس معه على طاولة المفاوضات.

عل همشمار: تنشر تشكيلا آخر تظهر فيه هذا الاختلاف، اذ يقف بيرس بحجم كبير يرفع بيده حمامة السلام وهي تحمل غصن الزيتون، بينما يقزم التشكيل الكاريكاتوري شمير، في مقعده محملقا «جاحرا» بيرس ومسيرة السلام.

هذه الاختلافات او الخلافات تبدو حبكة تكتيكية في مشاهد اخرى نشرتها صحيفة يديعوت احرونوت في عددها يوم ٢/١٠ حيث يظهر الثلاثي ليفي شارون وشامير في مشهد وهم ينتظرون بيكر وقد حمل ليفي الورود بينما حمل شارون الاشواك، اما شامير ظهره لهما واقفا مكتوف اليدين خوفا من انقلاب قيادة

Digitized by Birzeit University Library

حزبه ضده، وفي عدد آخر من صحيفة يديعوت احرونوت يوم ٤/١٢ يظهر الثلاثي المصري الامريكي الاسرائيلي، مظهرا الموقف المبالغ فيه لقرار ٢٤٢ بينما قلل من اهميته شامير في حين يظهر فيه بيكر يقف موقفا وسطا كمن يريد تقريب وجهات نظر الطرفين العربي والاسرائيلي.

اما الموقف الفلسطيني فيتبابن هو الاخر اذ تنشر جريدة القدس بتاريخ ٤/١ تشكيلا كاريكاتوريا يظهر فيه فريقا يحتج صارخا على الوفود المشاركة من خلال عربة يقودها حمار اذ تسأل الشرطة عن السائق الذي يقود العربة فيشير احدهم على الحمار الذي يجيب هو الاخر بنهيقه المعروف وهو يقود العربة وفي اقتياد الحمار لعربة السلام دلالة واضحة على ضعف الحركة وطول السكة التي تحتاجا صبرا كصبر الحمار، وهو واضح كذلك في تشكيل الطريق الطويل خلف العربة.

اما جريدة الاهالي المصرية فتظهر في عددها يوم ٩١/٣/٢٧ تشكيلا كاريكاتوريا يظهر موقف العرب وايديهم الممدودة للسلام ومعها غصن الزيتون واستمرار رفض شامير لمواقف العرب السلمية. وجريدة الفجر المقدسية في عددها يوم ٣/٣١ تنشر تشكيلا آخر يظهر فيه موقف العالم المتبني لموقف اسرائيل في نظرته للسلام حيث يسعون الى اصطياد سلام هزيل ضعيف وسط ظلام الاوضاع القاتمة كما في لوحة السلام، وفي تشكيل آخر تنشره جريدة القدس يظهر الموقف الامريكي الذي يظهر فيه الفنان "بيكر" وزير الخارجية الامريكية يركب موجة السلام وقد ربطت فيها غصن الزيتون بحبل شد في وتد ظل يدور ويحوم حوله دون تقدم يذكر. وفي مشهد آخر نشرته جريدة الفجر يوم ٩١/٤/١٨ يظهر فيه ان هدف الحرب لم يكن الا لتدمير الالة العسكرية باسم اقرار الامن والسلام، وفي النهاية تنشر جريدة القدس في ٤/٢٢ مشهدا آخر يظهر فيه مصير مشاريع السلام والاحلاف التي استهدفت تصفية قضية العرب المركزية القضية الفلسطينية، حيث يتوجه بيكر ليدفن مشروعه الى جانب مشروع حلف بغداد، وايزنهاور وهيج وغيرهم، تلك المشاريع التي ظهرت فوق جثث وجماجم الشعوب والتي تركت نهبا للطيور الجارحة، وهو تشكيل يعبر عن عقم المساعي المتجاهلة لحقوق الشعب الفلسطيني.

هذا العقم يظهر في مشهد آخر تنشره صحيفة دفار حيث يحاول بيكر التقاط بيضة السلام من مؤخرة ديك هرم، ولعل المفارقة الفنية هنا هي تبديل مدلول هذا الرمز الفني، اذ ان الديك يرمز به عادة كرمز للخصوبة، بينما يستخدمه الفنان هنا كرمز للعقم، اذ لا يمكن ان يلقي هذا الديك - والمقصود به هنا اسرائيل

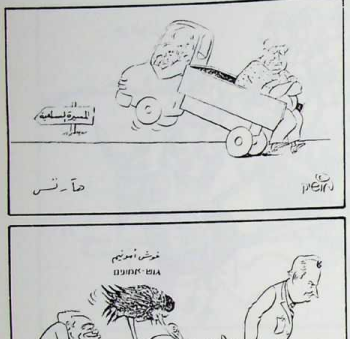

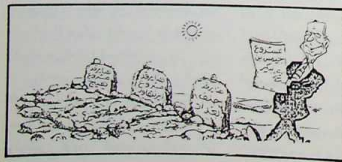

Digitized by Birzeit University Library

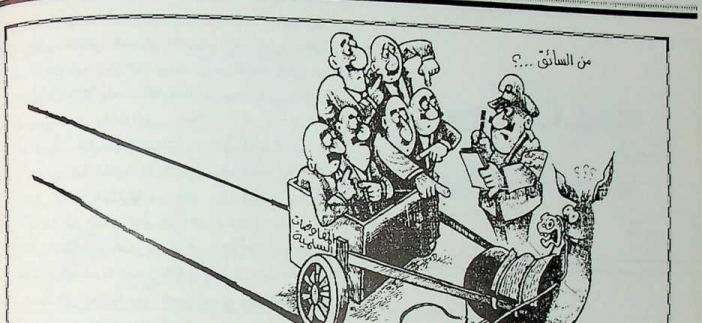

- بيضا في مقلاة بيكر كي يأتي بالسلام، ويتفق مع ذلك مشهد آخر يصور عرقلة الاسرائيليين للمسيرة السلمية تنشره هآرتس من خلال عربة يقودها بيكر وشامير ويجلس في مؤخرتها شارون على قفاه فتميل الكفة لصالحه وتتعطل العربة.

معوقات السلام بأعين الفنانين

كذلك يتفق الفنانون على اسباب ومسببات اعاقة السلام الحقيقي والعادل وتظهر في عدة اعمال اخرى منها ما تنشره صحيفة دفار في عددها ٩١/٤/١٩ اذ تقوم حركة الطيور الجارحة من حركة غوش امونيم باختطاف جثة مسيرة السلام قبل ان يوصلها بيكر وشامير الى غرفة الانعاش والعمليات، وفي هذا الاتجاه تنشر جريدة القدس ٤/٢٠ مشهد يأس الفلسطينيين من الموقف الامريكي فيقررون وضع البيت الابيض في الدائرة السوداء.

وتوضح هآرتس عوائق السلام الاسرائيلية في طريق بيكر والمتمثلة في حملة البناء الاستيطانية في الضفة والقطاع، وتوطين اليهود المهاجرين الجدد في الاراضي الفلسطينية المحتلة حيث سيتزحلق بيكر في قشرة موز الاستيطان على طول درجات مراحل جولاته المكوكية.

وفي هذا السياق تنشر يديعوت احرونوت مشهدا آخر لجلسة مفاوضات تضم بيكر وشامير وقد احضر البلدوزر شارون مدحلته ليعبد الارض التي يجلسون عليها لبناء مستوطنة جديدة.

وتنتقد الاهالي في تشكيل كاريكاتوري آخر في عددها يوم ٩١/٣/٢٧ الموقف الامريكي ما يسمى بضغوط امريكا للحوار مع اسرائيل واصرار هذه الاخيرة على رفض حق الفلسطينيين في تقرير المصير، بينما تستمر الانتفاضة وسط احتجاجات اليسار واليمين ورحلات بيكر المكوكية وهو ما تنشره صحيفة عل همشمار في ٩١/٤/١٢ اذ تظهر الحجارة والسكاكين وقنابل الملتوف في الوقت الذي تتجه فيه احزاب اليمين الى اجتماع لبحث سبل انهاء الانتفاضة، حيث يظهر شامير وشارون ومولديت وهتحيا وتسومت وسط عاصفة الانتفاضة.

في مشهد آخر تنشر معاريف في ٩١/٤/١٢ مشهدا لرحلة السلام الجديدة في المنطقة وليفي يصرح بازالة العقبات امام الرحلة، فيبرز الفنان اسرائيل على شكل لغم صغير في مقدمة البارجة وقد تخطته كاسحة الالغام لتزيل اللغم العربي - العرب كعقبة امام السلام والتي تظهر على شكل لغم كبر الحجم كتب عليه العرب يقود تلك الكاسحة فريق عسكري اسرائيلي امريكي مشترك بقيادة كل من ليفي وبيكر وقد ارتفع عليها علم الولايات المتحدة وعلم دولة اسرائيل.

وعل همشمار في عددها يوم ٩١/٤/١٢ تنشر كاريكاتيرا يظهر فيه مطالبة اسرائيل بضمانات دولية تسمح لها بابادة ما تسميه بالارهاب دون معارضة اطلاقا ويقصد بذلك الانتفاضة والثورة الفلسطينية. ويظهر مشهد تنشره صحيفة الراصد في عددها يوم ٩١/٣/١٨ الدور الامريكي يبحث عن بدائل عربية وفلسطينية بعد حرب الخليج وفق معادلة جديدة اسهب الفنانون التشكيليون في تناولها نتحدث عنها في عدد لاحق.

Digitized by Birzeit University Library

النفس الملحمي في رواية "انشودة فرح"

الدكتور ابراهيم العلم

ربحي الشويكي

رواية

لم أقرأ لربحي الشويكي رواية غيرها. وقد طالع القراء من قبل بقصة قصيرة في مجلة "مرج بن عامر" بعنوان "الجنرال" فبدا فيها تسجيليا اكثر منه قاصا. ومن مظاهر التسجيل في هذه الرواية ايضا اغراق الكاتب في التفصيل وحشد المواقف اليومية في صياغة قصصية مجللة تفتقر الى حسن الاختيار ومثلما احتشدت المواقف تعددت الشخوص دون ان يثابهما الكاتب فلم يتح للقارىء ان يرصد سلوكها وهي تتفاعل مع الاحداث المختلفة. فقد كان التركيز على الحدث باديا دون الشخوص وهو الموقف نفسه الذي اتخذته رواية (الطوق) لغريب عسقلاني ورواية (الحنون الجبلي) لاسامة العيسة.

وتقوم الرواية على حدث يومي في مستواه الواقعي يتصل بحفلة زفاف اتفق الشبان على احيائها لاكرم الشاب العائد من عمله في الخليج ولكن هذا الحدث على المستوى الاستعماري يومىء الى القضية الوطنية لان الشبان يتحدون المحتل الذي فرض منع التجوال على المخيم، باحياء حفلة الزفاف هذه رغم اتساع قدرته على القمع والتنكيل. فدلالة العرس ذات عمق تشير الى البقاء والنماء ورسوخ الجذور في الارض. فضلا عن ان المخيم الذي تدور فيه الاحداث رمز للمجتمع الفلسطيني في الارض المحتلة ففيه تدور الاحداث كلها، على ارضه تصطدم الجموع بدوريات الاحتلال. وداخل بيوته المتواضعة تجري مناشط شتى، ويدور النقاش الهادىء تارة والصاخب طورا حول شؤون الحياة في جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولهذا كانت الرواية ذات نفس ملحمي ظاهر ويمكن القول ايضا ان المخيم هو الشخصية الرئيسة في الرواية.

بيد ان احتشاد الرواية بعدد كبير من الشخوص قد نأى بها عن التكثيف. على ان الذين يقومون بالنضال فيه ينتمون الى شرائح متفاوتة مما عكس تباينا في فعاليات المقاومة التي تمارسها ضد الاحتلال فان (رمزي) الذي ينتمي الى الطبقة العاملة كان الاكثر اصرارا على اقامة حفلة الزفاف، وكان نجاح الحفلة تجسيدا لمقدرة الشعب على تحدي الاحتلال وفل سطوته.

ومن الشخصيات النسائية التي اخذت

Digitized by Birzeit University Library

بحظها من المقاومة "ام عبد الله" وهي ذات انتماء شعبي ايضا. اما حمدي فهو طالب جامعي مثقف وقد اقتصر نشاطه على حضور الندوات والاعداد لها وحسب، دون ان يشارك في النضال العملي.

وترددت في الرواية شخصيات بدت بامتة الملامح مثل ام حمدي الا ان ام احمد يرين على سلوكها الاعتزاز بكرامتها وان كانت استجابتها للاحداث سلبية، ويستطيع القارىء ان يطالع هذا السلوك في موقفين الاول حين جاءتها (سعاد) ببعض الحاجيات فرفضت تسلمها الا بعد ان تأكد لها ان ثمنها سيدفعه ابنها المعتقل بعد ان يطلق سراحه، والثاني حين ردت على سعاد في كبرياء "ابني احمد يعترف؟! بكونش ابني اذا اعترف!" ومثل هذه الام الفلسطينية هي التي أنشأت ابناءها على رفض الظلم والثورة عليه في مراحل النضال جميعها من تاريخ القضية.

ولشخصية (ابي فدوى) دلالة مرجعية واضحة تشير الى فلسطين في شرطيها التاريخي والواقعي ويمكن ان نهتدي اليها في يسر وسهولة من خلال وصفها، فانه اكبر سكان المخيم سنا ويقيم بمفرده في المغزل، وقد كان عجوزا يوم الهجرة الاولى ١٩٤٨ ويتوكأ على عصا كان قطعها من شجرة بلوط في ارضه المحتلة. ولعل الاشارة الرمزية ان تكون اوضح حين يقول فيه الكاتب ان رسول الملك (سنفرو) حاول ان يسرقها مع الخشب الذي حمله الى مصر وحارب (ابو فدوى) بها القائد (اوني) الذي ارسله الملك (بيبي)، وحارب مع (احمس) الذي حرر بلاده من الهكسوس. ويحيط معصمه بسوار منذ النكبة الاولى، ومن صفات هذا السوار العجيب انه يتمدد ويتقلص تبعا للمواقف. ومن مظاهر المبالغة التي حفت بهذه الشخصية انه لا يتذوق من الطعام سوى الزيت والزعتر. الا ان البناء الفني للشخوص ينبغي ان ينسجم مع الواقع الانساني كي تبدو مقنعة مؤثرة على ان الايهام بالواقع من خلال الرمز يجعل له وضوحا اشد مما لو عرض الكاتب لجزئياته الحرفية لان الكاتب يجعل وكده عندئذ عرض الجوهري من الاحداث ان يبدو اذ اهتمام الكاتب كان مصروفا الى ابراز الجذور التاريخية القديمة للشعب العربي الفلسطيني وهو اهتمام استدعاه الحاح الصهيونية على حق اليهود التاريخي مما اوقعه في التكلف. فان اليهود لم يقيموا في فلسطين وحدها بل اقام بعضهم في مصر وجزيرة العرب والعراق تماما مثلما اقام العرب والفرس واليونان في هذه الاماكن ولهذا كان اغفال الحق العربي الحاضر في ارض فلسطين والهروب الى حقب تاريخية غابرة حيلة حاولت الصهيونية ان تخدع بها العالم اما نحن فان اصرارنا ينبغي ان ينصرف الى الماضي والحاضر معا وان يكون الحاضر مركز الثقل من اهتمامنا. غير ان نقل الحقيقة من مجال التاريخ الى مجال الفن يحتاج الى براعة واقتدار.

ويبدو المكان عنصرا رئيسا في البنية الدلالية للرواية، فلم يقتصر الوصف على الحياة الاجتماعية والهم السياسي في المخيم بل جعل الكاتب للمنازل المتواضعة والدروب الموحلة شأنا في حركة الاحداث مما جسد البيئة المادية التي تخللتها وجعل حيثيات الرواية واقعا ملموسا بين يدي القارىء. كما في وصف المطر الساقط على احد البيوت "... ازدادت كثافة المطر المنهمر وبدأت تتسرب قطرات الماء من خلال ثقوب في السقف، فأدت الى ظهور بقع من الرطوبة اولا ثم بدأت تنزل نقطة نقطة في اناء وضعوه خميسا لتجميع المياه الساقطة".

ان اهتمام الكاتب بتصوير المقاومة خلال الانتفاضة على انها مقاومة مدنية ينهض بها السكان كافة لا يمنع من ان يشير في ايماءة ذكية الى ان العنف جدير بان يتعامل الناس به اذا لم تتمكن الانتفاضة من ان تثبت مقدرتها في تنفيذ المشروع التحرري.

فان احمد المناضل يوصي زوجته فاطمة بتسليم قنبلتين مدفونتين في ارض مجاورة الى صديق ذكر لها اسمه. وفي هذا الحرص دلالة رمزية واضحة.

على ان الكاتب اثقل بعض شخوص برموز اوقعتها في الافتعال. فهذه (ام عبد الله) تطالب ابنتها العروس بان تخرج في زفة العرس "لان هذا مهرك وعريسك هو اللي بقدر يدفع هذا المهر" فاذا كان المهر الذي يستطيع العريس دفعه هو النضال، فان هذه العبارة تنقض عبارة سبقتها وهي "ولازم تخرجي حتى لو ما خرجش اكرم".

وان تدخل الكاتب في احداث القص يحرم القارىء متعة معايشة الاحداث والتفاعل معها. ومما ورد من امثلة هذا التدخل قول الكاتب في معرض الحديث عن الاحتلال "... وبمعنى ادق من النوع الذي حصل على شيء لم يكن يحلم ذات يوم ان يحصل عليه - لا لقوة فيه ولكن لتخاذل المسؤولين في الطرف الاخر فصدق انه الاقوى. لذلك لن يسمح بالتنازل عنه".

ومن مظاهر السردية ان الكاتب يقدم تفصيلا لجوانب من سلوك شخصياته بدلا من الايحاء بها من خلال المواقف، ويحضرني في هذا الصدد قول (تولستوي) لمكسيم جوركي: اكتب بايجاز ولكن اكتب رواية طويلة! فلم يكن ثمة داع لهذه الاسطر الستة التي قدم بها لموقف كان يمكن ان يستوحيه القارىء من الحيثيات التي تلته اذ قال الكاتب "يمكن القول انه يغلب على امر اكرم الهدوء في حديثها وحركتها وتختصر الاجابات بنعم او (لا)، واذا ما اشطرت تضيف كلمة او كلمتين في احسن الحالات وطبعها هذا تمارسه مع الغرباء تكيفا

Digitized by Birzeit University Library

سيكون حالها مع جنود الاحتلال! انها ستختصر اكثر من ذلك. وفي اكثر الحالات اسهابا ستكون هزة الرأس او نعم ولا كل ما تنطق به، او كل ما تعرفه من اللغة العربية". لان فعل الذاكرة من خلال الاستبطان النفسي للسلوك يجب ان تتخللها والا بدا الروائي حكاءً".

ومن تدخل الكاتب هذه المواقف الخطابية السردية كقوله معقبا على موقف والد العريس الذي يستشعر وجلا من السير في زفة العريس في اثناء منع التجوال "... ولكنه لا يعرف ان ظلم الاحتلال والكرامة المهدورة والمباحة والشخصية المعرضة للضياع بل وللفناء قتلت عندهم تلك العواطف".

وفي الرواية يلحظ القارىء تبدلا سريعا في موقف العريس وهو تبدل لا يستجيب لمقتضيات الفن القصصي لانه يفاير منطق الواقع في السلوك الانساني.

فعلى حين يقول الكاتب (الراوية) "اما بالنسبة لاكرم فقد بدأ يشعر برهبة الحدث ويفكر بخطورته ومدى المسؤولية المترتبة عليه" اذا به يجري حوارا بين اكرم ووالده بعد ستة اسطر اذا حذفنا الاسطر الاربعة الخاصة باستبطان موقف الاب تظهر فيه حماسة اكرم لاجراء حفلة الزفاف، واقامة زفة العريس كما يلي:

- واصدقائي اللي جايين يحضروا حفل الزفاف.

- اللي بدو يحضر يروح لعمان.

- لا ياباا.. انا فرحي بدي اياه هون في بلدي وعلى ارض ترابها لازم يصير.

- لكنه راح يكون عرس مخلوط بالدم.

- على الاقل اذا لازم انزف لارضي فأرض بلادي اولى عروس انزفلها.

ولا يخلو السرد من تشتت في بعض المواقف بسبب رغبة الكاتب في استعراض ارائه خارج الاطار القصصي فنبابها السياق كما في قوله:

"اما بالنسبة لاكرم فقد بدأ يشعر برهبة الحدث... الخ" ويلي هذه الاسطر قول الكاتب (الراوية) "لانه يخاف النتائج التي ستترتب عليه (اي حفلة الزفاف) والضمير هنا يعود الى الاب لا اكرم مما بعث في لغة السرد لبسا وقد زادت الاداة التعليلية "لانه" الموقف غموضا اذ عللت امرا لاصله بينه وبين الموقف السابق.

على ان جدة الرواية تقوم على بنيتها الدلالية ذات الرمز الكلي اذ جاءت هذه البنية محصلة لهذا التوافق والتعارض بين الشخوص في تفاعلها مع الحدث المحوري وهو زفة العريس، فضلا عن انها تعالج واقع الطبقة المحرومة في صراعها المنظم الواعي مع المحتل. ولعلها الرواية الاولى في الارض المحتلة التي خاضت في هذا الواقع في اطار هذا الاعداد المسبق. وقد اعان الكاتب على ذلك اتخاذه المخيم مكانا رئيسا لموضوع الرواية، حيث تتجاور الاسر المستضعفة وتتعاون في اخوة نبيلة لصد الاذى الذي يمارسه العدو القومي ضدها. بيد ان خطابها الروائي جاء تقليديا شبيها بالرواية التي ظهرت في العقدين الرابع والخامس من هذا القرن. على حين تبدو الصياغة اللغوية واهنة بعامة.

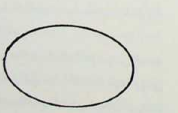

رواية «عو» لـ ابراهيم نصر الله

صدر مؤخرا عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان رواية جديدة للشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله تحمل عنوان «عو».

وتطرح الرواية الصراع الحاد والشرس بين الدكتاتورية واحلام الانسان البسيطة، وتكشف بجرأة محاولة تحويل هذا الانسان الى مسخن في دولاب السلطة، ليكون بالتالي جزءا من لعبتها او العابها.

وبالقدر الذي تعكس فيه «عو» وترصد نمو الوعي السلطوي ترصد بالمقابل ظاهرة سقوط المثقف في شرك الدعوة الى تعايش المبدع والحاكم او ما يسمى تجسيد الهوة بين المثقفين والسلطة.

كما تشكل «عو» واحدة من اقسى واجرأ الاعمال التي تقف ضد التسلط والارهاب والدكتاتورية والاستبداد السياسي.

وتتبع من خلال شخوصها جوهر السقوط والصعود في الصراع الانساني معيدة بشراسته السؤال الذي لا يرحم حول المعنى الاخلاقي للكلمة في وجه الموت والتغييب.

اربع شخصيات رئيسية تتصارع: جنرال، كاتب، قارىء وكلب.

ويأتي كل ذلك في سياق الكتابة الروائية العربية الجديدة التي بدأت تتخلص من الاساليب التقليدية وتعتمد على مرتكزات متعددة لاقامة معمارها الفني وبلغة جديدة.

وقد جاءت الرواية في «١٧٥» صفحة من القطع المتوسط.

Digitized by Birzeit University Library

حول مجموعتي القصصية

« وتستمر الحياة »

يعقوب الاطرش

لا يختلف اثنان اننا في امس الحاجة الى حركة نقدية تتسم بالموضوعية والوعي لتواكب حركتنا الادبية.. تقيمها.. وتقومها.. وتنميها.. وتصقلها.. وتدفع بها الى الامام. وما النقاشات المطولة في اجتماعات الهيئة العامة لاتحاد الكتاب الفلسطينيين حول هذا الموضوع وفي الندوات الادبية لمناقشة بعض الاعمال الادبية التي عقدت الا اكبر دليل على هذا الاهتمام والالحاح.

وعل هذا الاساس، فقد رحبت - منذ البداية - بفكرة قيام السيد خالد البطرواي بنقد مجموعتي القصصية "وتستمر الحياة".. توقعا ان تكون حادثة نقدية من هذا اللون الموضوعي البناء الذي نحن في امس الحاجة اليه.

الا انني فوجئت حين قمت بمطالعة متأنية متمعنة لما كتبه الاخ الفاضل من نقد لمجموعتي القصصية المذكورة في العددين ١٣١ و ١٣٢ من مجلة الكاتب تحت - ما اسماه - قراءة وتفكير بصوت مسموع ومكتوب.. مؤكدا بأنه لا ينقد على الاطلاق (صفحة ٣٨ عمود ٢ عدد ١٣١).. وربما ليوفر لنفسه غطاء يتيح له حرية الحركة ويؤمن له خط الرجعة متى اراد.. دون ان يتحمل مسؤولية النقد!.. الا ان ادعاءه هذا سرعان ما انهار عبر سياق كتابته.. وخاصة حين نصب نفسه بنفسه ناقدا وحكما مقسطا.. ليقيم كل قصة من قصصي - وبصفته مهندسا - في رسم بياني فريد في نوعه.. وليبين مستواها - حسب رأيه وهواه - وهو ما يتحرج عن القيام به.. كبار النقاد المؤهلين للنقد الموضوعي!!

والتساؤلات التي تطرح نفسها الان - وبعد نشر ما كتب - هي.

اي افادة حملت هذه "القراءة" بجزئيها.. للكاتب وللمجموعة وللقارىء وللحركة الادبية؟

وهل هذا هو النقد الموضوعي البناء الذين نحن في امس الحاجة اليه، والذي نطالب به بالحاح واصرار.. ليواكب حركتنا الادبية.. ويبين ما فيها من مواطن القوة والجمال.. وما تزخر به من رموز ودلالات.. وما تحويه من مضامين انسانية واساليب ادبية وجمالية.. لتشجيع الكاتب من ناحية.. وليكشف بدوره - من ناحية اخرى - عن مواطن الضعف والوهن.. بأسلوب مخلص هادف.. حتى يمكن تلافيه وليدفع بالتالي الى تطوير ادبنا وصقله وبلورته بشكل لائق.. ليأخذ مكانه بين آداب الشعوب؟؟

تساؤلات.. افضل ان اترك الاجابة عليها.. للقارىء العزيز.. ولكل مهتم بالحركة الادبية والنقدية.

لقد فكرت - في البداية - الا اعقب بشيء على ما كتبه صاحبنا الفاضل.. على اعتبار ان ما كتبه ليس نقدا وانما هو مجرد انطباعات واراء شخصية تصدر عن مزاجه وهواه.. وعلى اساس ان الانسان حر في تفكيره.. وفي تكوين ارائه وانطباعاته..

ولكن حين يقوم الانسان بنشر تلك الاراء والانطباعات.. وحين يتحول التفكير الذاتي الى كلمات مكتوبة.. واحكام واتهامات قد تصيب وقد تخطىء.. وقد تنصف وقد تظلم.. وفي مثل هذا الاسلوب

Digitized by Birzeit University Library

وعلى هذا النحو.. فانه يغدو من الضرورة التعقيب على ما كتب.. خاصة اذا كان هذا يحفل بالكثير الكثير.. مما يستوجب التعقيب!

وسأحاول - ما استطعت - وفي خلال تعقيبي هذا ان "يتسع قلبي لواحد في مثل سن ابنائي" - كما طلب هو وان اشار هو الى زميلين ذكرهما بالاسم لم يتسع قلبانا لمثل هذه القراءات (صفحة ٣٨ عمود ٢ عدد ١٣١) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على احد امرين: اما انه ليس لدي بعض الكتاب والادباء - في الاصل - استعداد لتحمل ما يقال ويكتب او ان ما يقال ويكتب لا يمكن تحمله لانه قد جانب الصواب والانصاف.. ولعلنا لونا من الوان التشنيع والتشويه والاجحاف؟!

وقد خطر لي - بادىء ذي بدء - ان اتناول في تعقيبي ما كتبه السيد البطراوي فقرة فقرة.. الا انني وجدت من الانسب ان اجعل تعقيبي بالقدر الممكن في عدد من الملاحظات.. خاصة وان الزميل الفاضل رئيس تحرير الكاتب حبذ الا يتجاوز التعقيب مقالة واحدة؟

١- بالنسبة للاختلاف الاول معي الذي اشار اليه (صفحة ٣٨ عمود ١ عدد ١٣١) حول الكم من الاصدارات الادبية التي صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين حيث ان جزءا لا يستهان به منها غير صالح للنشر.. لا اعتقد انني اختلف معه في هذه النقطة، ولا ادري كيف فهم هو الامر على هذا النحو.. واشارتي في مقدمة الكتاب الى تبني اتحاد الكتاب برنامجا جادا نشطا بطباعة ونشر انتاج اعضائه.. لا يفي بالضرورة ولا يعطي قطعا ترخيصا مني او من غيري بطباعة ونشر كل ما هب ودب، كما يجب الا يفهم كلامي على هذا النحو بدليل انني عدت لاؤكد في نهاية تلك المقدمة الى "امنيتنا الغالية بأن يأخذ انتاجنا الادبي الفلسطيني مكانه بين آداب الشعوب".. وهذا لا ينسحب بطبيعة الحال الا على الانتاج الادبي الجيد.

٢- اما بالنسبة لنقطة الاختلاف الثانية (صفحة ٣٨ عمود٢ عدد ١٣١) فيؤسفني ان السيد البطراوي قد اساء فهم العبارة التي اوردتها في مقدمة الكتاب والتي تنص على ما يلي:

"واشعر الآن ان الوقت قد حان لاتفرغ لكتابة القصة الواقعية..."

وواضح ان المقصود بذلك هو غير القصص الواردة في هذه المجموعة والتي ذكر بوضوح تام انها كتبت بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٨٧.. في حين ان المقدمة كتبت في اواخر عام ١٩٨٩!.. وانما قصدت بكلامي ذاك قصص المجموعة الثانية "حصاد الريح" التي صدرت في العام التالي عن دار فلسطين للنشر.

٣- اما بالنسبة لقوله ان قصص مجموعة "وتستمر الحياة" - وبحسب رأيه الشخصي طبعا - لا يعتبرها من القصص الواقعية.. وانما يجد معظمها قصصا تعتمد على الصدفة وعلى ترتيب مسبق لنهاياتها وتسلسل احداثها (صفحة ٣٨ عمود ٢ عدد ١٣١) فادعاء غريب!؟..

واود هنا ان اؤكد له ولغيره انه باستثناء "معا.. على الدرب" التي هي محاولة تصورية - كما ذكر بوضوح - فانني لم اكتب لا في هذه المجموعة ولا في غيرها قصة ليس لها اصل واقعي.. فجميع قصصي مستمدة من الواقع الذي نعيشه.. من الحياة التي تزخر بالاحداث والحكايات والقصص.. بعض هذه القصص عايشتها بنفسي.. وبعضها الاخر سمعتها من اناس ثقة لا يرقى الشك الى امانتهم وصدق رواياتهم.

٤- لاحظت ان السيد البطراوي يكثر من ترداد عبارات معينة... حتى غدت اشبه ما تكون بكليشيهات مكررة محفوظة جاهزة لدى الطلب.. وذلك اثناء تعليقه على قصصي الامر الذي افتقدها الكثير من رونقها ومصداقيتها.. وهذه بعض الامثلة لا الحصر.

(أ) "يعتمد على عنصر الصدفة" (شملت ٨ قصص).. دون ان يوفق مرة واحدة في اثبات ان الحدث مجرد صدفة حسب ادعائه.. ثم هل الحياة الواقعية نفسها تخلو من الصدف؟ او ليس الواقع في بعض الاحيان اغرب من الخيال.. ويتجاوز المعقول؟؟

(ب) "علم درسا" (٧ قصص) - لا ادري بالضبط ماذا عنى الاخ الفاضل - بهاتين الكلمتين اللتين رددهما كثيرا؟!.. كل ما قاله في توضيحهما.. انها القصص التي طالما تأثرنا بها في مدارسنا ومن خلال برامج التلفاز والاذاعة (صفحة ٣٨ عمود٣ عدد ١٣١)..

هل يقصد ان القصة تعلم درسا ولها مغزى؟ وهل هناك ما يعيب القصة اذا كان لها مغزى او درسا يفيد القارىء؟.. هل يمكن اعتبار مثل هذا الوصف نقطة ضعف في القصة وينتقص من قيمتها الادبية او الفنية؟؟.. ثم الا يشتم في مثل هذا القول شيء من التنكر لما تأثرنا به في مدارسنا وفي برامج التلفاز والاذاعة؟!

(ج) المحافظة على نمط ووتيرة (٨ قصص) - ويقصد ان معظم قصص المجموعة جاءت - حسب رأيه - على نفس النمط والوتيرة.. وهذا ادعاء مخالف تماما للواقع.. ولا يمكن لناقد موضوعي او حتى لقارىء منصف الا ان يلحظ الفرق الواضح بين انماط هذه القصص.. وعلى سبيل المثال بين نمط قصة "السكرتيرة المطلوبة" التي تعتمد نمط التحليل الذاتي وقصة "آخر الشهر" التي تعتمد النمط السردي وقصة "من السارق" التي تعتمد نمط ما يسمى بالمونولوج وقصة "وتستمر الحياة" التي تعتمد نمط تنامي الحدث.

Digitized by Birzeit University Library

(د) كتابة القصة من نهايتها او آخرها (٤ قصص): ولك عزيزي القارىء ان تدهش وانت تتصور كيف تكون كتابة القصة من آخرها او نهايتها.. لتعود (ريفيرس) الى اولها او بدايتها؟! ولعل الاخ الفاضل ادرى كمهندس كيف يتم عقد سقف بناء مثلا اولا.. ثم يصار الى اقامة الجدران نزولا.. وبعدها صب الاساسات وفي مكان آخر يذكر "يكتب قصصا استنادا الى فترة (اظنه يقصد فكره) واضحة اي انه قبل ان يجلس للكتابة يكون قد خط نهاية قصته في ذهنه (صفحة ٤٠ عمود ٢ عدد ١٣١).. ومن ذلك يتبين انه يعيب علي انني لا اكتب قصة لي الا ان تتبلور في ذهني فكرة واضحة.. ولا ابدأ في كتابتها الا بعد ان اكون قد وضعت في ذهني نهاية لقصتي؟!.. وردا على ذلك اقول: هذا بالضبط ما افعله.. فأنا فعلا لا ابدأ بكتابة قصة الا بعد ان تكون فكرتها قد اختمرت تماما في ذهني - حتى ولو اضطررت لتأجيل كتابتها اياما او شهورا -. وبعد ان يتضح في ذهني كامل بنائها الفني وتسلسل احداثها.. وخاتمتها .. وهنا اتساءل: هل هناك كاتب او قصصي يفعل غير ذلك؟!.. فيجلس لكتابة قصة دون ان تكون الفكرة والاحداث والتسلسل والنهاية واضحة تماما في ذهنه؟!.. وحتى في غير مجال القصة القصيرة.. الا يقوم المهندس بعمل مخطط متكامل - لا جزئي - لمشروع بناء مثلا وبفكرة واضحة وبعلم مسبق بكافة التفاصيل قبل البدء؟!؟ وهل يستطيع المعلم ايضا ان يواجه طلابه ويقوم بتدريس مادته.. دون ان يكون قد اعد - اعدادا تاما - خطة مسبقة/لدرسه؟؟

ان المتتبع لما كتبه السيد خال لا بد انه لاحظ كيف يرفع وبشكل الى بين حين وآخر مثل هذه العبارات الاربع وغيرها من امثال "في القصة تراجع" في القصة تغيير او اختلاف" و "زج بأحداث سياسية".. الخ. مما افتقدنا الكثير من معناها ورونقها ومصداقيتها.. واحيانا في عدم انسجام ووفاق مع بعضها، وهذه بعض الامثلة:

(أ) "تغيير طفيف في القصة.. لا اضافة نوعية"! (صفحة ٣٧ عمود ٣ عدد ١٣٢).

(ب) "اختلاف عن نمط القصص السابقة.. لم تأت القصة بجديد"؟! (صفحة ٣٧ عمود ١ عدد ١٣٢)

٥- لم يكلف الاخ الفاضل نفسه - سواء كناقد او كقارىء مفكر - عناء البحث والتروي وسبر اغوار شخصيات القصص والتعمق في فهم احداثها ومضامينها.. وتفهم كل الرموز والدلالات فيها.. بدليل انه لم يسر الى ما تحفل به قصص المجموعة من رموز ودلالات - باستثناء مرة واحدة وعرضا - رغم انها حافلة زاخرة بعشرات الرموز والدلالات.. وانما اكتفى - سامحه الله - بالصاق ادعاءات وتهم من عنده وحسب هواه.. في حين كان الامر يتطلب التعمق في حقيقة ما ترمي اليه هذه القصص وكشف رموزها ودلالاتها في اطار من النقد الموضوعي النزيه.. بدل مثل هذا الاستيعاب السطحي لها!!

٦- يفترض في الناقد او حتى القارىء المفكر" ان يحترم مشاعر الاخرين حين يستعرض عملا ادبيا. ودون ان ينساق الى اسلوب التشنيع والتهريج او التهكم التي غدت اساليب مرفوضة ممجوجة.. حين يعجز ان يوضح لنا ما يريد ان يصل اليه بأسلوب منطقي مقنع.. وحين لا يجد ما يعيبه على القصص او ينتقص من قيمتها.. سواء من ناحية المضمون او الحبكة او الاسلوب؟!

وهذه بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) "لاحظوا هذا الزج بالحدث السياسي" (صفحة ٣٤ عمود ١ عدد ١٣٢)

(ب) "وكأنهم يا سلام قد حرروها" (صفحة ٣٤، ٣٥ عمود ٣ عدد١٣٢)

(ج) "ليت الـ ٩٨٢ شهيدا الذين سقطوا.. اتقنوا هذه القفزة الجهنمية، وتجنبوا الوفاة" (صفحة ٣٥ عمود ١ عدد ١٣٢)

(د) "الكثير من كتابنا يملكون نظرة متخلفة ازاء المرأة وكافة القضايا المتعلقة بها" (صفحة ٣٦ عمود ١ عدد ١٣٢).

(هـ) "اليس هذا موقفا انتهازيا صرفا" (صفحة ٣٦ عمود ١ عدد ١٣٢)

(و) "يجب عليك يا ابا زويا ان تطلي من الكسالى غسل وجوههم" (صفحة ٣٦ عمود ٣ عدد ١٣٢)

هل تكفي هذه النماذج.. والتي - كما يظهر - لم يسلم منها بعض كتابنا وطلابنا.. وحتى شهدائنا الابرار؟!!

٧- لم يشر السيد البطرواي - ولو مجرد اشارة - في كتاباته التي تناولت كل قصة بالتفصيل.. الى عقدة القصة ولحظة التنوير او كشف العقدة فيها.. رغم افراده مساحة واسعة لكل منها للتلخيص مضمون القصة (بطريقته الخاصة).. ثم لترديد بعض الكليشيهات المحفوظة في نهايتها!.. وقد فوجئت به في (صفحة ٣٦ عمود ١ عدد ١٣٢) يكتب بالحرف الواحد: "الاستاذ يعقوب يكشف لنا على الدوام، عقدة القصة في الاسطر الخمس الاولى"؟!.

تصوروا.. في الاسطر الخمس الاولى؟!! وهذا اتهام مخالف تماما للحقيقة. وبارجوع الى قصص المجموعة نجد ان العقدة لا تنكشف ولا تتم لحظة التنوير - كما تسمى - الا في آخر كلمة من القصة!!.. كما في عدد من القصص مثل: السكرتيرة المطلوبة، وقارئة الكف، والسقوط!.. او في الاسطر ما قبل الاخيرة في معظم القصص الباقية!!

فلماذا اذن هذا الادعاء الباطل والاتهام الظالم.. الذي لا ينطلي حتى على اي قارىء عادي؟!؟ ولماذا يحاول صاحبنا ان يقلل من

Digitized by Birzeit University Library

قيمة العمل الفني.. وخاصة في قصة "السكرتيرة المطلوبة" حيث بلغت لحظة التنوير او كشف العقدة ذروتها مع آخر كلمة في القصة!!. يكفي هنا ان اذكر ان احدى صحفنا المحلية اعادت نشر هذه القصة بالذات - بعد اربع وثلاثين سنة من اذاعتها للمرة الاولى - لان الزميل الفاضل محررها الادبي - وكما قال لي.. وجد فيها نموذجا للحبكة الفنية.. وللعمل الادبي المكتمل!؟! في حين ان صاحبنا يقسو على هذه القصة.. التي اعتمدت اسلوب التحليل الذاتي.. فيذكر بأنها "تدخل ضمن قصص علم درسلا.. ولم المس اي اختلاف في نمط القصة الثانية عن الاولى.. بمعنى ان الكاتب قد حافظ على نمط روتيرة، ولم يجدد..."؟! (صفحة ٣٩ عمود ٢ عدد ١٣١).

٨- يكرر السيد خالد مرارا/ عبارة "على نمط الافلام العربية" وفي اكثر من قمة ومناسبة!.. دون ان يحدد ماذا يقصد تماما بعبارته الغامضة هذه!.. ليس من السهل قبول مثل هذا التعميم الفاضي.. ذلك لان الافلام العربية ككل الافلام الاخرى فيها الجيد والضعيف.. والسمين والغث!.. هل اسمي قائمة طويلة من الافلام العربية الممتازة التي تتفوق على الكثير الكثير من الافلام الاجنبية؟.. ام انها عقدة "الاجنبي" التي يرزح البعض تحت وطأتها؟!؟

٩- كيف يمكن التوفيق بين قول الاخ الفاضل من انني اعتمد اسلوب السرد والذي كما لا يخفي - يلجأ الى التدرج في تسلسل الاحداث وتتابعها.. وبين اتهامه لي بأني اعطي القارىء المعلومات جرعة واحدة.. وليس تدريجيا؟!! (صفحة ٤٠ عمود ١ عدد ١٣١).

١٠- يتهم السيد خالد قصة "تارقة الكف" بأنها تعتمد على الصدفة واللا معقول.. دون ان يتكرم بتبيان موقع كل منهما في القصة!! وردا على ذلك اتساءل: اين عنصر الصدفة في القصة؟ وماذا بها من اللامعقول؟؟.. انني اؤكد ان القصة واقعية جرت احداثها على ارضنا الفلسطينية وقد رواها لي صديق فاضل اثق بصدقه وامانته.. وحين قرأها مطبوعة عاد ليؤكد لي صحة وقائعها.. واشاد باللمسات الفنية التي ادخلت عليها. ثم هل نسف فندق الملك داوود بالقدس حدثا عارضا زج به في القصة بلا داع؟.. ام انه حدثا اساسيا من احداث القصة؟؟.. كنت اتوقع هنا ان يشير - صاحبنا - الى اهمية توظيف احداث التاريخ في خدمة الادب والقضية.. وان يتنهم دواعي بعض العبارات السياسية الواردة في القصة مما كان يعتبر من مستلزمات ذلك العصر والذي اظن انه لم يعشه او يعيه.. بالاضافة الى كونها ضرورة فنية لا بد منها لتشكل مدخلا نفسيا يمهد لدخول الاخت سلك التمريض.. بابراز مشاعر النقمة والغضب التي اجتاحت المواطنين.. ضد اعمال الارهاب والتدمير!!

١١- كان انطباع السيد خالد عن قصة "ذكريات الشاطىء بأنها لم تعلم درسا على الاطلاق!.. وبأنها - كسابقاتها - تعتمد على عنصر الصدفة، كما وزجت بها احداث سياسية؟!..

ربما كان من المفيد هنا ان اذكر ان هذه القصة كتبت عام ١٩٥٨ لبرنامج "القدس تناديكم" الذي كان يقدمه الاذاعي المعروف موسى الدجاني.. وهو في الاصل برنامج موجه يهدف الى التذكير بالفردوس السليب واستنهاض الهمم. ومن هنا، فالقصة لا تخلو من عبارات سياسية وذات هدف وطني.. وعليه، فالاحداث لم يزج بها زجا في القصة - كما ادعى - بل هي في صلب بنائها.. فالبحر الابيض المتوسط يلعب دورا رئيسيا في القصة.. والترابط بين شاطئه في لبنان وفلسطين واضح الدلالة بارز الرمزا!.. ثم ان القصة برمتها واقعية تماما.. وقد عايشت احداثها بنفسي!..

١٢- يأخذ السيد البطراوي علي استعمال العديد من العبارات الادبية.. التي عدد منها على سبيل المثال واحدا وثلاثين عبارة (صفحة ٣٨ عمود ٢ و ٣ عدد ١٣٢).

وباستغراب شديد اتساءل وربما يشاركني ذلك آخرون: ماذا يعيب مثل هذه العبارات الادبية؟ وأي مأخذ في ذكرها؟؟.. اليس ما يميز الكاتب او الاديب هو قدرته على استعمال عبارات بلاغية جميلة.. يزين بها اسلوبه.. ويثري بها كتابته؟!.. وما فائدة البلاغة بكل اساليبها واشكالها ومحسناتها اللفظية في اللغة اذن؟!؟.. وهل وجدت لتدفن في بطون الكتب وتحفظ كآثار في المتاحف اللغوية؟!!

وصاحبنا فوق ذلك لا يتورع ان يصفها بأنها كليشيهات جاهزة مسبقة الاعداد..؟؟ غريب؟!.. هكذا وببساطة؟!.. ثم يتابع الحديث عن تلك العبارات الادبية "تلك التي طالما انعكست سلبا علينا جميعا، في المدرسة، الصحافة، الادب.. الخ" (صفحة ٣٨ عمود ١ عدد ١٣٢).

الانسان - اي انسان عادي - يطرب عادة لسماع او قراءة عبارات ادبية من امثال تلك العبارات التي عددها.. اما ان يجدها ثقيلة.. مرهقة.. ويصفها بأنها قد انعكست سلبا وعلى الجميع - هكذا... والتعميم - فأمر مذهل يدعو للدهشة والعجب.. وللتساؤل: أين موطن الخلل الحقيقي؟!.. الا اذا اراد صاحبنا ان يقوم بانقلاب شامل ابيض.. يحرر فيه المدرسة والصحافة والادب.. من مثل هذه القيود.. ويقودها للانعتاق من ربقة مثل هذه العبارات الادبية المذكورة.. حتى لا تعود تنعكس سلبا على الجميع!!!

١٣- ظاهرة لاحظتها تتكرر في اكثر من موضع.. يخلط فيها السيد البطراوي بين مواقف شخوص القصة وخواطرهم وافكارهم

Digitized by Birzeit University Library

وبين الكاتب.. لست في حاجة الى القول بأنه ليس من الضروري ان تتطابق مثل تلك المواقف والخواطر والافكار مع ما يؤمن به الكاتب! بل ربما يتخذ احد الشخوص موقفا مغايرا تماما لموقف الكاتب.. وهذا امر طبيعي ومنطقي لا غبار عليه. وهذه بعض الامثلة:

(أ) "لم يطرح الكاتب الانثى متساوية المكانة مع الذكر.." (صفحة ٣٦ عمود ١ عدد ١٣٢) وذلك من خلال خواطر الزوج اثناء فترة غياب زوجته في قصة "اجازة".

(ب) "يعطي الاستاذ يعقوب الامور لنا جاهزة، الزوج بريء فقط" صفحة ٣٦ عمود ٢ عدد ١٣٢) وذلك من خلال تداعي افكار الزوجة في قصة نهاية الليل" .. وهي تؤمن ببراءة زوجها.

(جـ) "ثم يختتم الكاتب قصته كالمعتاد متحدثا عما يجول في خاطره" (صفحة ٣٦ عمود ٣ عدد ١٣٢) وذلك في نهاية مرافعة المتهم بالسرقة والذي هو رمز للانسان الفلسطيني المظلوم الذي اعطي فرصة للكلام حين يعرب عن ايمانه بأن هذا الحال لن يدوم وان الليل لن يطول وان الفجر آت لا ريب فيه.

(د) يقوم.. بنقل ما يجول بخاطره.. على لسان الاطفال بلغة الكبار" (صفحة ٣٥ عمود ٢ عدد ١٣٢) فالخواطر هي - لكل متمعن - خواطر طفلة صغيرة وبأسلوب تفكير الصغار لا الكبار.

١٤- يبدو ان السيد خالد لم يدرك تماما المغزى الذي هدفت اليه قصة "اجازة".. وهو التأكيد على اهمية مكانة المرأة.. وذلك من خلال هموم عامل بسيط يستعرض افكاره وخواطره وفهمه للحياة عبر وجهة نظره هو لا من وجهة نظر الكاتب!.. وقد قادة هذا الى استعمال عدد من المصطلحات والادعاءات الغريبة من امثال: "الانتهازية الصرفة" و "النظرة المتخلفة لدى العديد من كتابنا ازاء المرأة وقضاياها".. ولا اظن ان مثل هذا الادعاء الاخير يشملني ولست في حاجة للتأكيد على انني من اشد المتحمسين شخصيا لمكانة المرأة واهميتها كنصف للمجتمع. الم يقرأ هو بنفسه قصة "نهاية قصة" (صفحة ٣٨ عدد ١٣١). وكانت تقاسمة الحياة زوجة شابه الا تعني مقاسمتها الحياة انها نصف الحياة؟! وعليه فان ما يأخذه علي الكاتب بأنه قد اخفق في تلك القصة في طرح الانثى متساوية المكانة مع الذكر.. الخ. (صفحة ٣٦ عمود ١ عدد ١٣٢) يغدو ادعاء مردودا فما وجدت القصة اصلا الا لتؤكد هذه الحقيقة.. ثم نحن بصدد قصة قصيرة لا رواية طويلة.. وعالم القصة القصيرة - كما يعلم الجميع - محدود ومركز.. وقد تم التركيز هنا على عالم المنزل.. لا الحياة ككل.. وهذا شيء لا ينتقص من القصة.. فالتركيز احد مقومات القصة القصيرة، ثم ان الكاتب لا يستطيع ان يطرح في اسلوب تقريري او مباشر مثل هذه الامور التي يريدها صاحبنا.. وانما يقتضي اسلوب العمل الادبي احيانا ان يترك ذلك لذكاء القارىء.. ولا يستطيع احد ان يلوم الكاتب اذا اخفق قارىء ما.. في التوصل الى هذا المغزى!.

١٥- يتهم قصة « نهاية الليل » بأن الحبكة فيها مهمة (صفحة ٣٦ عمود ٢ عدد ١٣٢) وهو اتهام مبهم غامض اذ ان الحبكة عادة ما توصف بأنها قوية متماسكة او ضعيفة هشة! ... ثم ان القصة واحداثها في غاية البساطة والوضوح .. لا ابهام فيها ولا غموض!! ... وهذه العبارة هي كل ما جاد به علينا في موضوع الحبكة عن هذه القصة ... وعن القصص الاخرى! ... فيما يفترض في اي ناقد او قارىء مفكر يتعرض لعمل ادبي قصصي/ ... ان يتناول - فيما يتناول - موضوع الحبكة والبناء الفني لذلك العمل:

١٦- لم يحظ طالبنا الفلسطيني ... الذي ذاق الامرين في ظروفه الصعبة القاسية التي لا يحسد عليها ... بأي اهتمام مخلص من جانب السيد خالد ... وانما انضم الى جهرة الذين يمارسون « القسوة » عليه ... حين وصفه «بالطلمسة» (صفحة ٣٦ عمود ٣ عدد ١٣٢) وبالكسل (صفحة ٣٦ نهاية عمود ٣ عدد ١٣٢) وهو يواجه احد جوانب مأساته المتعددة الجوانب ... وهي وضع الاسئلة الصعبة والزج ببعض الكلمات المبهمة فيها ... وزاد الطين بلة انه لم يشر في تعليقه ولو بكلمة - الى مأساته وظروفه الصعبة ... او حتى يبدي اي تفهم او تعاطف معه ... وانما لجأ الى التهكم والسخرية في بعض احداث القصة ... واورد مداخله غريبة (اثناء تواجده عند زميل له في الجامعة لا تمت الى الموضوع بصلة ... وربما كان تفسيري لكل ذلك ان صاحبنا بعيد عن جو الطلاب ... ومشاكلهم ... وظروفهم ... وهمومهم ... وطبيعة مأساتهم ... وعن قاعات الامتحانات العامة ... واجوائها ... وانظمتها!.

١٧- ثم يأتي ادعاؤه بأنني غير موفق البته في اختيار اسماء لقصصي (صفحة ٣٨ عمود ١ عمود ١٣٢) ... هكذا! ... وفي حكم قاطع بات ... وتعميم مطلق! ... وردي ان صاحبنا خالد لم يحالفه التوفيق - هذه المرة ايضا - في ادعائه هذا ! ... بالاضافة الى كونه غامض وغير محدد .. اذ انه لم يحدد ما هو المقصود بأسماء القصص ... هل هي عناوين القصص ام اسماء شخوصها؟ ... ثم انه لم يشر الى مثال واحد فقط على عدم التوفيق هذا ! ... ومسألة التوفيق هذه على كل حال مسألة نسبية يختلف الحكم عليها من شخص لاخر ... على ان الكاتب يبقى - في رأي الكثيرين ورايي - وبحكم كونه المؤلف والمبدع ... اقدر الناس على وضع العنوان الذي يراه مناسبا او اختيار الاسم المناسب لاعتبارات عدة لا تخفى ... ولا احد يستطيع ان يصيبه في هذا المجال فالمولود

Digitized by Birzeit University Library

الجديد يسميه والده لاجيرانه وعابرو السبيل!!.

١٨- اما بالنسبة لرسمة البياني الذي اتحفنا به كمهندس (صفحة ٣٩ عدد ١٣٢) ... والذي نصب نفسه - من خلاله - ناقدا لا يجارى وحكما مقسطا - كما ذكرت في البداية - ليقيم - حسب رايه وهواه - كل قمة من قممنا ... ومستواها ... على ضوء الوتيرة التي تحدث عنها ... في رسم بياني فريد ... يعجز عنه كبار النقاد! ورأيي ان هذا الرسم البياني الذي جاء به - وان اخفق تماما في اظهار مستويات القصص بشكل موضوعي نزيه - فقد نجح في اظهار مدى استيعابه هو ومدى فهمه لكل قصة من هذه القصص ... وانا هنا لا احكم عشوائيا ... وانما من خلال خبرتي الطويلة في ميدان التربية والتعليم التي تجاوزت الثلاثين عاما ... وكمعلم درس القراءة والاستيعاب ... وعمل مرارا في قاعات الامتحانات العامة مراقبا ورئيسا ... وليس ادل على ذلك من هذا الاستيعاب السطحي للعديد من القصص من امثال: الام - قارئة الكف - ذكريات الشاطىء - امنيته الصغيرة - نهاية الليل - من السارق ... اما ابلغ دليل فكان وضعه « معا ... على الدرب » في ادنى مرحلة في رسمه البياني المذكور لانه - وكما تبين من خلال تلخيص لها - قد عجز تماما عن فهم مضمونها ... وشخصية بطلها ... وما ترمي اليه تلك المحاولة التصورية ... ولم يتبين للاسف الشديد - كيف تم توظيف التاريخ واستلهام احداث الدين في درب الالام في قدسنا الحبيبة الغالية ... وربط احداث الماضي بالحاضر بكل ممارساته ... كما اخفق في فهم كل الرموز والدلالات التي تزخر بها القصة ... ومنها التبشير بمجيء الانتفاضة (الغضب الساطع وتجهير الاطفال) ... وحتمية طلوع الفجر (للقدس سلام آت) ... في اطار من التلاحم الاسلامي المسيحي (تعانق صوت الجرس والمؤذن).

*****

هذه بعض الملاحظات التي رأيت ان اوردها تعقيبا على ما كتبه السيد خالد البطراوي، وحبذا لو كان المجال يتسع لمزيد. ومنها - يتبين انه - وان كان قد رسم لنفسه - منذ البداية - خطا معينا كقارىء يفكر بصوت عال ومسموع - الا انه تعدى ذلك الخط .. ليتعسف نفسه ناقدا ووصيا وحكما ... يملك حق اصدار الاحكام الباتة ... واطلاق التهم والادعاءات .. دون ان يكلف نفسه ... مشقة التعمق في فهم القصص ... ومضامينها ... وحبكتها ... ورموزها ودلالاتها .. ليظهر ما بها من مواطن القوة والجمال .. وليكشف عما يعتورها من ضعف او وهن في اسلوب موضوعي بعيد عن الهوى! ...

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الان هو ذاته الذي اثير في المقدمة: هل هذا هو النقد الموضوعي البناء الذي نريده ... ونطالب به ... ونصر عليه .. ونجمع على ضرورة تواجده على الساحة الادبية ليواكب الحركة الادبية ... ليبين ما فيها من مواطن القوة والابداع للاخذ بها ... وكشف مواقع الضعف والوهن لتلافيها ... ومن اجل تقييم الاعمال الادبية بشكل موضوعي نزيه مخلص ... وتقويمها ... وتنميتها ... وصقلها ... لتأخذ مكانها اللائق كأدب فلسطيني متميز ... بين آداب الشعوب؟.

او انه يكفينا قراء يفكرون بصوت عال او منخفض .. لا يملكون سوى شعارات نقدية سلبية ... يرفعونها بمناسبة وبغير مناسبة .. في اطار من التشنيع والتشويه ... يكاد لا يسلم منه احد او شيء مما حولنا ... كل ذلك لانهم لا يملكون ما يلزمهم من ادوات النقد الموضوعي؟؟.

تساؤل اتركه للقراء الاعزاء ... ولكل المهتمين بالحركة الادبية من كتاب وادباء ونقاد ... وعلى رأسهم اتحاد الكتاب ... واساتذة الجامعات ... ليجيبوا عليه ... وافضل ان يجيء جوابهم على شكل خطوة عملية يتخذونها ... ليبينوا بهذه المسؤولية الجسيمة وبهذا الواجب الوطني الهام الملقى على عاتقهم، لانه قد آن الاوان ... الا يتركوا ساحة النقد الادبي شاغرة ... لكل مغامر او عابر سبيل؟..

وفي الختام، لا املك الا ان اقدم للاخ الفاضل خالد البطراوي كل تقديري لاهتمامه بمجموعتي القصصية « وتستمر الحياة »، وللجهد الكبير الذي بذله في قراءة قصص هذه المجموعة وتلخيصها وابداء ارائه ومطالعاته الشخصية عليها مما استغرق عشر صفحات كبيرة من مجلة الكاتب، ولتفضلة بالاشارة الى بعض الجوانب الايجابية فيها.

متمنيا له التوفيق في محاولات جديدة ... مع كل محبتي واحترامي.

شهادات فلسطينية

صدر مؤخرا عن مركز القدس للابحاث كتاب "شهادات فلسطينية" من تأليف واعداد الشاعر عيسى بشارة والصحفي بسام الكعبي، والكتاب عبارة عن الجزء الاول من قصص وبطولات شهداء الانتفاضة كما يرويها اهلهم وذووهم.

وقد قام الكاتبان بجمع قصص استشهاد عدد من شهداء منطقة نابلس وصاغوها باسلوب ادبي، فقصص شائقة، وقد جاء في مقدمة الكاتبين:

"يضم هذا الكتاب بين صفحاته قصصا من واقع نضالنا اليومي كتبت بالدم وروت بالدموع، بحيث جاءت لتشكل لوحة بانورامية صادقة تعبر عن اصالة شعبنا، وقدرته على التفاني في سبيل تحقيق الهدف الاسمى".

وقد جاء الكتاب في "١١٠" صفحات من القطع الكبير.

Digitized by Birzeit University Library

لقاء مع

الفنانة فاطمة المحب

الفائزة بجائزة الفنون الجميلة
في الاسبوع الثقافي الفلسطيني المنعقد في القاهرة ١٩٩٠

اجرى اللقاء / الفنان كريم دباح

فاطمة المحب، اسم معروف في عالم الفن الفلسطيني، وهي من اوائل المثقفين الفلسطينيين الذين توجهوا نحو الفن في كشف جمال الطبيعة الفلسطينية. ولفاطمة المحب دور ملحوظ في الاهتمام بمادة التربية الفنية في المدارس ودور المعلمين. وقد تميزت لوحات فاطمة المحب بالمشاعر الرقيقة والحساسية ازاء كل اشكال الحياة من حولها.

ولهذه الفنانة الكبيرة تتمنى «الكاتب» العمر المديد ومواصلة العمل في حقل الابداع.

*** بعد تهنئتك بهذا الفوز الكبير فاني اود ان اعرف ما هو شعورك عندما علمت بفوزك بهذه الجائزة؟**

** طبعا كان فرحي عظيما سيما انها جاءت من بلد عربي واذكر انني قبل الاحتلال كنت اشتركت في مسابقة للفن التشكيلي اقيمت في لندن فكنت ضمن الفائزين ومع ان هذه المسابقة كانت دولية ولكني، كم تمنيت لو كانت عربية. واذا بالمعجزة تحصل واخيرا افوز هنا في وطني بالجائزة الفلسطينية مما يدل على الصحوة العربية فان شاء الله يكون الخير للجميع.

*** ما هو الفن التشكيلي في رأيك؟**

** هذا سؤال يطول شرحه ولا مجال الى هذا هنا بل ان شاء الله ساكتب في مجلتكم الغراء في المستقبل عن كل هذا - اما الان فأقول باننا ام نعرف التاريخ القديم والحديث الا بقدر كبير مما وجدناه من آثار فنية من نحت واحيانا رسم منذ الحضارات القديمة قبل الميلاد وحتى عصرنا الحالي مما تحتفظ به متاحف اوروبا من لوحات تظهر فيها نوعيه المجتمعات والحياة في العصور السابقة المتتالية. فان الانسان بطبيعته يحب ان يصور المرئيات التي حوله ويحس بالجمال ويعبر عنه بشتى الوسائل حتى احرف الكتابة هي نوع من التصوير.

*** اود ان اعرف لمحة عن رحلتك التشكيلية، كيف احببت هذا الفن ومن هم الاشخاص الذين اثروا في نشاطك الفني في المراحل الاولى؟**

** ان ابي هو الاديب والصحفي اللبناني ابراهيم المحب وامي فلسطينية من القدس مثقفة وتتقن الرسم، ولقد تفتحت عيني على جمال الطبيعة في لبنان حيث كنا نقيم هناك منذ طفولتي الاولى. فأحببت شروق الشمس تلون السحب وغروبها عن البحر في بيروت، والغيوم ونزول المطر والثلج او طلوع البدر.

وبعد وفاة والدي هناك رجعنا مع امي الى القدس حيث دخلت روضة الاطفال، فكنت ارسم الاشياء التي حولي مثلما هي ظاهرة تماما وكنت ارى امي ترسم وارى شقيقتي الاكبر مني ترسم وهي التي اصبحت فيما بعد اول طبيبة في فلسطين

Digitized by Birzeit University Library

واسمها الدكتورة زينب المحب فتعلمت الرسم من امي واختي رحمهما الله.

ولما ذهبت شقيقتي الى مصر لتدرس الطب بعدها ببضع سنوات ذهبت لادرس الفنون الجميلة في القاهرة ثم اتممت دراستي في الولايات المتحدة.

*** ما هي المجالات الفنية التي عملت بها بعد عودتك من الولايات المتحدة الاميركية؟**

** عملت لفترة قليلة في السياحة حيث قمت برسم لوحة جدارية لمطار القدس قلنديه عن الاراضي المقدسة - وقمت برسم لوحات وعمل نشرات واعلانات سياحية. ثم انني نقلت الى وزارة التربية والتعليم الاردنية لاعمل موجهة للتربية الفنية للمعلمين والمعلمات فكنت اوجههم الدورات ونقيم المعارض المدرسية وقد تبين لي ان الطلاب والطالبات يميلون الى الفن التشكيلي وهنا لك مواهب بحاجة الى عناية والان لا يدرسون هذه المادة بسبب ظروف الانتفاضة وأمل أن يرجع تدريسها عندما تتحسن الاحوال - واثناء عملي في وزارة التربية كنت ضمن واضعي منهاج التربية الفنية - ورسمت رسوما توضيحية لبعض كتب هذه الوزارة.

وأما بعد الاحتلال فلم اعمل في اي مجال ولكني حولت نشاطي الفني بعد فترة الى عمان فرجعت الى وزارة السياحة لاعمل رئيسة للقسم الفني فيها فكنت ارسم لهم لوحات توزع على الدوائر والشعارات او في عمل اعلانات ونشرات سياحية لكي ترشد السائح الى نمطية الاماكن المقدسة والآثار التاريخية ونربه الحياة الشعبية الى جانب واقعنا الحاضر الذي نعيش فيه وقد وصلت الى الدرجة الاولى؟ في وظيفتي.

*** ما هي النشاطات الفنية الاخرى التي قمت بها مثلا المعارض او الكتابه عن الفن؟**

** اقمت قبل الاحتلال معرض فنيا في القدس اما بعد، فقد اشتركت في معارض في عمان ولي لوحات في المتحف الاردني للفنون الجميلة، احيانا يعرضها التلفزيون الاردني.

وكنت اشتركت في معرض في لندن وآخر في الولايات المتحدة، وكتبت بعض المواضيع حول الفن لبعض المجلات او الاذاعة. اما المجلات التي تحدثت عني فهي الاديب والشبكة في لبنان وآخر ساعة في مصر حيث وضعت صورتي الشخصية على غلاف مجلة آخر ساعة. وكذلك مجلات اجنبية كتبت عني.

*** ما هو رايك في نهضة الفن التشكيلي في البلاد العربية؟**

** في جميع البلاد العربية نهضة فنية للفن التشكيلي وخاصة في مصر - اما في عمان فهناك نهضة فنية، وتوجد قاعات للعرض، ويوجد معهد لتعليم الرسم، وهنالك متحف هو للفنون الجميلة من اردنيين وفلسطينيين وعرب وكذلك مستشرقين يعرضون فيه عرضا دائما يملكه المتحف.

*** ما هي اهم انتاجاتك الفنية؟**

** كنت ذكرت سابقا انني قبل الاحتلال بفترة قريبة كنت فزت في مسابقة دولية في لندن - لقد قدمت لوحات وخامة تمثالا بعنوان السجين السياسي المجهول وهذا حاز على الجائزة الدولية هناك وعرض في اشهر متاحف العالم في لندن متحف تيت جالري، Tate Gallary - وكان الموضوع تعبيرا عن السجن النفسي، وليس السجن الواقعي، بما يعبر عن رغبة الانسان في التضحية، من اجل خدمة مجتمعه. وكذلك معروضات عرضتها في باخرة اميركية حازت الاعجاب السياحي ولوحات اخرى عرضت في معرض متنقل في امريكا. ولوحة مطار القدس الجدارية، وغير ذلك كثير.

*** ما هو الاسلوب الفني الذي تفضلينه؟ ومن هم كبار الفنانين العالميين الذين يعجبونك؟**

** يعجبني الاسلوب التأثري وهو الذي نشأ في فرنسا ثم انتقل منها الى انجلترا وغيرها من البلدان. وهذا الاسلوب لا يعنيه ان ننقل الاشياء التي حولنا مثلما هي بل الشيء علينا ان نرسمه كما نشعر به وكما نريده ان يكون. ومن رواد هذه الطريقة الفنان رنوار في فرنسا، وتيرنر في انجلترا

Digitized by Birzeit University Library

حيث رسم قطارا يسير في الضباب، ورنوار يظهر تأثير ضوء النهار على الاشياء وعلى الالوان، وتيرنر يظهر تأثير الاجواء على الشيء الفنان يرى الاشياء على طريقته الخاصة ثم ينقل هذه الرؤية الى الناس. ويعجبني الفنان رمبراندت من هولندا اذ يركز النور على الشيء. الذي يريدني ان اراه في لوحته.

والفنان روبنز من بلجيكا وهو ورمبراندت برعا في رسم الاشخاص وتعابير وجوههم، وطبعا يعجبني رسم ليوناردو للوحته موناليزا وغيرهم من كبار الفنانين في ايطاليا امثال مايكل انجيلو ورفائيل - واخص بالذكر الفنان ديفيد روبرتس David Roberts الذي جاء قبل اكثر من ١٣٠ سنة من انجلترا الى الاراضي المقدسة ورسم كل شيء فنها فيها يعتبر دليلا سياحيا هاما لبلادنا.

*** ما هو موقفك من الحركات الحديثه في الفن التشكيلي؟**

** لقد بلغ الفن التشكيلي القمة في اواخر القرن التاسع عشر وفي النصف الاول للقرن العشرين اما الان فانه رجع الى الوراء وتقهقر نظرا للعصر الصناعي ولعصر الخلافات السياسية الذي نعيش فيه. مثل الفن التكعيبي والسيريالي والتجريدي، فكلها "خرابيش" واصحابها هم متطفلون على الفن وهذا تأخر فني.

*** ما هي صفات الفنان الحقيقي؟**

** ان يتذوق الجمال وان يعيش باحساسه ويعبر عن هذا الشعور بصدق وان لا تكون غايته من الفن المال او الشهرة بل صدق التعبير والابتكار والاصالة.

*** ما هو رأيك في واجبات الحركة الفنية الفلسطينية المعاصرة؟**

** ليس بالضرورة ان يكون الناس شعراء او ادباء ليفهموا الشعر والادب. وكذلك فهنالك نقص في تثقيف المواطن فنيا ليفهم ما يراه ويتذوقه فيجب كتابة مواضيع في المجلات حول هذه الامور الى جانب اقامة المعارض وكم يكون جميلا لو كان هنالك متحف دائم للفنون الجميلة ليكون للاجيال القادمة. او ان تعرض المجلات لوحات الفنانين فيها تباعا.

*** ما هي ميولك الاخرى غير الفن التشكيلي؟**

** احب الكتابة خصوصا ما يتعلق بالثقافة الفنية فانه لدينا جهد كبير في هذه الناحية يجب العمل على ازالته.

واحيانا انظم الشعر خاصة في وصف الطبيعة فاني احب جمال الطبيعة كثيرا.

*** ما رأيك في الفنان الفلسطيني المعاصر؟**

** الفنان الفلسطيني يحاول ان يثبت وجوده وانصحه بالصدق في التعبير، والاستفادة والتقدم والتفهم لهذا الموضوع والبعد عن الغرور. ويعجبني رسم الفنان اسماعيل شموط فهو قمة، وكذلك رسم فتحي غبن في التعبير عن المواضيع التي يتطرق اليها وفي الوانه المعبرة وهنالك نهضة فنية في غزة على العموم وكذلك تقدم هنا في الضفة ويجب التعاون من الفنانين فيما بينهم. وشكرا لهذه المجلة التي اتاحت لي هذه الفرصة السعيدة.

Digitized by Birzeit University Library

بداية موسم جديد للفن التشكيلي

شمران ابو الحكم

(١)

جماعة ناجي العلي التشكيلية والمعرض الثاني لرسوم الاطفال

في قاعة عرض المسرح للثقافة والفنون اقامت جماعة ناجي العلي اواخر ايار ١٩٩١ المعرض الثاني لرسوم الاطفال، وقد شارك فيه ٢١ طفلا من اطفال مخيم قلنديا حيث تم اختيار ٤٥٠ لوحة بعد انهاء دورة للرسم نظمتها الجماعة في روضة اطفال مخيم قلنديا التعاونية، وقد شارك في تلك الدورة التي استمرت شهرا ونصف سبعين طفلا وطفلة تتراوح اعمارهم بين السادسة والرابعة عشرة، لقد كان دور الفنانين التشكيليين المشرفين على الدورة يقتصر على التوجيه غير المباشر وتأمين المواد الخام للاطفال الذين استخدموا الوان الغواش والفلوماستر واقلام الخشب والباستيل، وطباعة البطاطا، وقد تنوعت مواضيع الرسوم لدى الاطفال حيث رسموا الرياضة، والطيور والازهار، والزخرفة وحياة المخيم، غير ان احداث الانتفاضة شكلت ٩٠٪ من رسومات الدورة، وقد جمع الاطفال حس واحد وتوجه مشترك في شكل تجمعات حسية يمكن ترتيبها على هذا النحو:

اعمال بريئة بدائية: جمعت صلاة المؤذن، وآذان المساجد مع بيوت المخيم وابواب المنازل، وجدران الصفيح تمج بالصور، تخالطها شعارات الوطن واعلام الحرية والشهداء في شوارع الانتفاضة يتواصلون في العطاء.

اعمال متمردة حادة: جمعت جبال وبيوت الوطن مع الاسلاك الشائكة، والاشجار الباسقة تقابلها اعمدة الكهرباء العالية، وخلفها عيون الاطفال، تسرق لحظة من اوقات فراغها، تداعب مراجيح المدارس دون ان تنسى الوان العلم واعلام الوطن.

اعمال هادئة رافضة: جمعت البراءة والطهر والنقاء، رغم تلك العيون التي تشع بالغضب تبكي شهيدا منع الجنود اهله من اسعافه، وعيون اخرى تغتصب الدمعة منها رائحة كريهة، وغاز خارق «يعبق» المخيم من قنابل الغاز.

اعمال حالمة ثائرة: جمعت فرق الاطفال الضاربة في شوارع المخيم مع اطارات «الكاوتشوك» المشتعلة، والملثمون بالحطة والكوفية يحدون الموت عن ابواب المخيم، ويرسمون خارطة الوطن الحالمة، في خطوط متشابكة يربط بين حب الاطفال لموطنهم، فيدفعهم للتضحية في سبيله.

وتشترك كافة الاعمال بجرأتها، وواقعية تخيلها، وصدق تعبيرها، مع تلقائية في التشكيل في اساليب ابتكرها الاطفال من واقع معاناتهم، دون مراعاة لقواعد النسبة والتناسب في التماثل والتقابل، خارجين على قواعد الكلاسيكية التعبيرية.

والى جانب ذلك فان هذا المعرض كسابقه من معارض رسوم اطفال فلسطين تحت الاحتلال، وثيقة اضافية، تعكس خصائص المرحلة الحالية في الارض المحتلة وعمق البؤس الانساني الذي يتلون به خيال اطفال الانتفاضة ، وفي هذا الوقت من الانتفاضة الفلسطينية في سنتها الرابعة، وقد تجمع الاطفال تحت علم الوطن يرفعونه مشرعا خافقا، يرفرف في الايدي الغضة، وعلى المتاريس وفوق الاشجار والاسطح واعمدة الكهرباء.

Digitized by Birzeit University Library

وهي ان دلت على شيء فانما تدل على الخبرة التي اكتسبها الاطفال في المواجهات اليومية مع الجنود، وتبين الرسومات التضحيات التي يقدمها الجيل الجديد على مذبح الحرية والاستقلال.

وختاما، لقد امتلك اطفال الانتفاضة خبرة احساس تراكمت عبر اربع سنوات من الانتفاضة رسخت احساسا لا ينسى كونه اكثر من ١٠٠٠ شهيد فضلا عن عشرات الالاف من المعتقلين ومئات المنازل المنسوفة والمغلقة، والاعين الحائرة.

*****

(٢)

معرض انطباعات للفنان التشكيلي «طالب الدويك»

رغم كل ما قيل من عبارات المديح والوصف الانشائي، بكلمات جميلة منمقة ومؤثرة فان زيارتي لمعرض انطباعات، اخرجتني من قاعة العرض بانطباعات غير متفائلة عن موسم هذا العام ١٩٩١ لابداعات الفنانين التشكيليين الفلسطينيين مقارنة باعوام ٨٨/٨٩، وقد بدأ موسم التراخي والتراجع يحيط بالابداع الفني التشكيلي، منذ بدأ الخلاف يدب في اوساط الفنانين ويعصف بوحدتهم ليحولهم الى جماعات وجماعات، فموسم العام الماضي لم يشهد سوى عملا واحدا لم يدم اياما معدودة بحضور فريق من الفنانين الزائرين، بينما حمل جماعة التجريب والابداع لوحاتهم ليطوفوا بها عواصم اوروبا والبلدان العربية

Digitized by Birzeit University Library

بعد نجاح تجربة معرض التجريب والابداع عام ١٩٨٩، والذي شارك فيه الفنانون تيسير شرف، نبيل العناني، سليمان منصور، عصام بدر، فيرا تماري، ولم يكن الامر لدى جماعة ناجي العلي للفنون التشكيلية بافضل منه لدى جماعة التجريب والابداع، فجماعة ناجي العلي منذ تأسيسها في ١٩٩٠/٦/١٠ لم تقدم لنا منذ مطلع هذا العام سوى معرض رسومات اطفال مخيم قلنديا الذي اشرنا اليه اعلاه، ورابطة الفنانين التشكيليين تغيب عن الساحة، فيطل علينا احد قادتها الفنان طالب الدويك بمعرض «انطباعات» كبداية موسم لا تبشر بعطاء وفير كالذي عهدناه في مواسم الخير والابداع.

وان كنت اوافق الفنان تيسير شرف بوصفه لاعمال الفنان طالب الدويك برهافة الحس والاخلاص والانتماء للفن والوطن والارض، والصدق في التعبير والاداء كما وابداعا، وتواصله الذي لا ينقطع ونفسه الطويل وانتمائه للمدرسة الانطباعية، وخصوصيته في طريقة التنقيط وتشكيل الجمال مع حرارة الموضوع والتصاقها بطبيعة بلده في الوان منسابة متناغمة دافئة، وتلونها بين الدقة والخشونة، كما لا اخالفه في تمكن الفنان وسيطرته الكاملة على عناصر العمل التشكيلي موضوعا وشكلا ولونا، ودقة مزجه للالوان واشتقاقه لعدد متناه من التموجات والانحناءات.

غير اني اخذ عليه اعتماده الكلي على الالوان الثلاثة كعنصر هام من عناصر اخراج العمل التشكيلي، وتكراره لذاته في اكثر من ٩٠٪ من لوحاته حتى تخاله يميل الى ارغفة الاشكال عن سابق اصرار وكأنها لوحة واحدة مقسمة الى خلايا عديدة، لا يحاول الانفلات من هذه النمطية الا نادرا حيث تتجلى ابداعاته في لوحات قليلة ونادرة تحسب له كما في لوحة انصار ٣ ولوحة القمر المبعد، حيث يتوافق الابداع التشكيلي مع استراتيجية الموضوع والتزامه المتكامل.

لقد كان في تكامل لوحات القدس من جبل الزيتون الى البلدة القديمة مرورا بباب حطة، ولوحات الخليل ونابلس والبحر الميت وعين جدي خط مشترك يجمع التراث والارض والوطن في اشكال متماثلة تأخذ شكل الهوية المستقلة، وكأنه طراز من الازياء البسه للطبيعة الصامتة.

وعليه نسجل التقدير للفنان المبدع الذي يحرص على التواصل وان كنا لا نخرج بانطباعات متفائلة عن موسم وفير للعمل الابداعي التشكيلي، ومردود ذلك لا يتحمل مسؤوليته الفنان طالب الدويك وحده، بل لعله اقلهم لوما كونه طرق الباب وبدأ مشوار الموسم لهذا العام.

*****

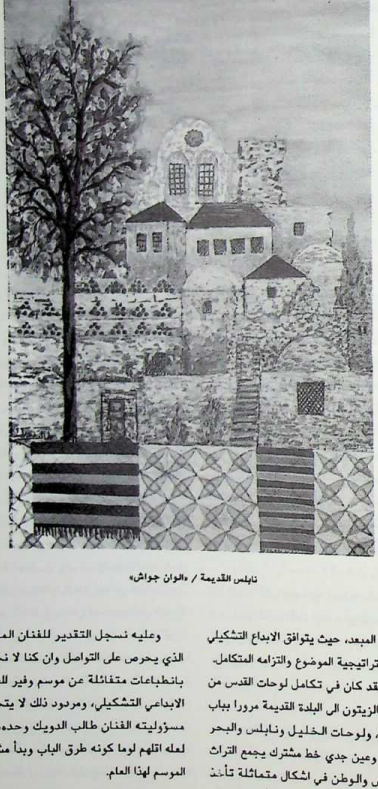

نابلس القديمة / «الوان جواش»

Digitized by Birzeit University Library

الخروج الى داخل الدائرة

في

«قضية المدعو "س"»

صافي صافي

ما كادت تنزل المرآة الاسطوانية الكبيرة لتحط فوق الطاولة المستديرة في الحلقة المسرحية الدائرية بعد حالة التقيؤ التي اصابت "س"، ما كادت تنزل، حتى اصيب "س" بحالة خوف هستيرية فيهرب من المرآة ليواجه "ص"، يهرب من "ص" فيجد المرآة امامه، يدور بينهما في حركة دائرية، يهرب من الموت فيجد الموت يترقبه، يفزع من الموت فيجد الموت يدفعه للموت، يدور في نفس الحلقة، وفي نفس دائرة الهستيريا والرعب والحياة، يجد نفسه يرقص على انغام الموت ويؤدي طقوسه، في نفس الدائرة يجد نفسه يحمل المرآة الدائرية المقطع ويدور بها رقصا، و "ص" يرقبه، ويدور حول محور عمودي على خشبة المسرح ويلقي "ص" في دائرتها.

ما كاد يلتقط انفاسه وبعد ان اوشك على الاستنتاج على انه طرد الموت وقتله، ما كاد يوقن بأنه سيبدأ الحياة من جديد وفتح صفحة جديدة خارج دائرة الخوف من الخوف والخوف من الموت، والموت من الخوف، وراح يبحث عن "ص" ويتساءل: وين راح؟! معقول اكون؟! حتى سمع صوتا يأتيه من خارج الدائرة يقول: قتلته؟!، تقدم الصوت نحو الدائرة فاذا به كاتب المسرحية ومخرجها «يعقوب اسماعيل» ويسأل ثانية: قتلته؟!

– مش عارف! هو فعلا كان موجود؟!

فيجيبه: موجود ومش موجود. بنام فترة وبصحى فترة، راح تظلوا تتصارعوا، بتغلبه وبغلبك حتى تتحدوا في النهاية وتتلاشوا مع بعض.

يطلب "س" مساعدة المخرج والكاتب من الازمة التي يعيشها، فيجيبه رادا "س" الى نفس الدائرة: انت هيك حطيتنا بورطة، انا زيي زيك، كل ما حاولت احلها، بطلعلي خازوق جديد، ولو كنت عارف الحل، كان كتبته وخلصنا.

لماذا اذن تدخل الكاتب والمخرج اذا كان لا يعرف الحل؟!

اولا: حتى لا تعيد المسرحية ذاتها.

ربما ومنذ اللحظات الاولى لخنق "ص" بالمرآة الاسطوانية شعر الجمهور بان المدعو "س" قادر على التغلب على الموت وبالتالي يضع حلا مثاليا ووهميا بان للحياة قدرة على قتل الموت ذاتيا، ربما نصفق ل "س" وللكاتب وللمخرج على هذا المشهد وعندما نخرج من القاعة ونفكر، نجد ان الصراع بين الحياة والموت لم ينته رغم وجود الحياة، الموت هو جزء من الحياة، ان الحياة تستمر بصراعها مع الموت وتتغلب عليه رغم الموت الفردي الذاتي، الموت يبدأ مع الحياة ويتحدا في النهاية نحو الموت، وفي ذلك لم تكن هذه الحالة هي الاولى (س مع ص)، ففي حالة التداعي الداخلي عند "س" وبترابط الطفولة مع "الهارمونيكا" كبر معها، لكنها ماتت فجأة غنى لها ونفخ فيها، وعندما ماتت نفخ فيها عبثا، اخبرته امه ان "الهارمونيكا" انتهت، بكي من قلب مفزوع فكان هذا هو اللقاء الاول مع الموت، وكما عاش على انغام الهارمونيكا وماتت، عاش مع الباص الخشبي الكبير الذي اهداه له خاله، كان يلعب به في ساحة الدار، وقفت سيارة فجأة ايضا، انها باص المستشفى الذي

Digitized by Birzeit University Library

حمل اخاه الصغير ميتا، وهذا هو اللقاء الثاني مع الموت، وتكبر الحياة مع الحياة ويكبر الموت مع الموت، صراع "معذب ضد الذات" و "ضد الاخر"، "مزاشم السياسة" و "مزاشم الحب"، "سنوات القهر والحرمان الطويلة" ومن ثم "الانهيار الكامل ومحاولة لملمة بقايا الانسان".

الصراع مع الموت بدأ منذ الطفولة ولم ينته بخنق "ص"، ان "س" سيبدأ حياة جديدة سيكون الموت جزء من الصراع واللقاء والمواجهة مرة اخرى.

ثانيا: لان هذه الحالة لا يمكن ان تنتهي الا اذا خرج "س" من ذاته

لم يكن "ص" خارج ذات "س"، انهما متلازمان، يتصارعان، يبتعدان حينا ويقتربان حينا آخر، "ص" هو المكلف باغتيال "س"، كان قد استلم كتابا من السلطات تعلمه فيها بعدم "مواجهة" بقائه حيا وبالتالي اغتياله، ظل يرفض الموت وقتا طويلا، لكن ومع "انهيار كل شيء حوله" عبأ استمارة الموت (طلب الموت)، فجاءه لينفذ "س" رغبته، بعد ان برمج ودرس ضمن خطة منظمة ودراسة مجمل العوامل المحيطة بشخصيته، لقد طلب له الموت فجاءه متأخرا بعض الشيء بسبب هذه العملية المبرمجة والتي تحاول القضاء على الحياة البشرية، ليس هذا فقط، بل تحاول ان تنظم الحياة بصورة حيوانية تماما، في العلاقة مع الاخرين، في العلاقة مع الذات، في طريقة الاكل والشرب، في العلاقات الجنسية. يتم تسفيه كل شيء في محاولة لاقناع "المدعو "س"، بعبثية الحياة ولا ضرورتها، الموت كان قبل الحياة والموت يكون بعد الحياة، الحياة خروج عن النسق الطبيعي، وهكذا يحاول "ص" ان يبني علاقة قوية متوحدة مع "س" ليذوبا معا، يحول الموت الى علاقة حب وانسانية، المطلوب من "س" بدل ان يُقتال من السلطات ان ينتحر، رصاص، سم، خيط حرير او بأي طريقة يقبلها "س".

"س" هذا، حدد هدفه في طريق واحد، ضمن حدود مغلقة الجوانب، وهذه الحدود انهارت، "البناء الشامخ العظيم" انهار حوله وفي داخله، وقف عاجزا امام الانهيار وانهار معه، تذكر كل الذين ضحوا بانفسهم في سبيل الاهداف ونفس الحدود، ضاعت سنوات الشباب لكن السور العالي الكبير سقط، لم يعد باستطاعته البدء من جديد، حاول الارتداد نحو ذاته الذاتية، طقوس الحياة العادية، الاكل، الشرب، الحب، لكنها اتت في اطار نوبة الموت لتعيد لسخافتها وعبثية الحياة معها، فزادته انهيارا حتى رقص رقصة الموت، ورغم ابتعاد النوبة الا انها غابت مؤقتا.

"س" هذا الذي عاش حياته بهذه الطريقة سيظل يعيش في نفس الدائرة كما عاشها في دائرة المسرح طوال فترة العرض، دون قدرة على الخروج منها، انه يعيش في نفس الدائرة ولن ينفعه الا بالخروج منها ولم يخرج تماما.

ثالثا: لانها قضية عامة وليست خاصة.

تحت شعار "من اجل الانسان والانسانية" وبصورة خطابية فجة تمسك "س" بفكر وبنضال ثوري ووضع حدودا لحياته ونمّطها وعاش معها الى ان وصل الى ان لا بديل له في الحياة بدونها، وعندما سقطت، سقط، انها ليست قضية "س" وحده كشخص، هناك الكثير "سنيون"، يتعاملون مع الواقع بالغاز الافكار وبأوهامها، وعندما يصطدم بالواقع، تتساقط الاوهام فتسقط صاحبها وتحاول قتله وبتخطيط مسبق منظم ومبرمج لتعبر في نفس الهدف، "س" هو مثل كثيرين يعيشون حولنا وفينا وخارجنا، وهذه القولبة الجامدة مهما كانت رائعة وجذابة "وانسانية هلاؤها السقوط وحتى لا نسقط يجب ان لا نكون كذلك ونحن كذلك، الحياة اكبر من ذلك بكثير او ربما ابسط من ذلك بكثير واوسع من دائرة الافكار الجامدة والنسخ والاستنساخ ونحن ننسخ ونستنسخ، الفن هو خروج على الواقع، والكاتب بصفته مخرجا ومبدعا في نفس الوقت، دخل الى حلقة المسرح الدائرية من خارجها "ولا يعرف حلا لقضية" "س" (اللغز والصراع الدائم) فهو نفسه يعيشها ولو "كان يعرف الحل لكتبه"، حاول بدخوله الى الحلقة المستديرة ان يفعل شيئا، وقف امام المرأة الاسطوانية ليرى ان كان "ص" قد مات فعلا ويجيب رد على سؤال "س" ان كان قتله: ... بنام فترة وبصحى فترة... الخ. في محاولة لكسر الحلقة اشار الى ذلك قولا وحطم مع "س" طقوس "ملك الموت"، اطفأ الشموع واحدة تلو الاخرى وعلى جوانب الدائرة المسرحية بالضبط كما الصخرة التي تفتتت بين الاصابع، كما النجمة التي تعلقت بها عيناه فانطفأت، كل شيء يزول: الزيف، الكذب، الخداع، القسوة في كل شيء، في كل مكان، في كل انسان فالحقيقة تحولت لشيء آخر، الزيف والخداع جعل من التظيف وسخا، السماء صارت سوداء، البحر صار احمرا، الشجر صار ابيضا، ولم يعد معنى للفرح، تحول كل شيء الى عبث وعبث، عاش "س" مع الموت، قتلت فيه الطفولة والبساطة، حتى الباص الخشبي الذي لعب به ظهر بدلا منه "باص الموت" يحمل طفلا لم يعش اكثر من ستة شهور، اللعب مع بنت الجيران ومع الصحوة الاولى واكتشاف الحياة، جاءته الرهبة والمرق، المظاهرات الاولى والفتوة جاءه الرصاص فكان الخوف، واللقاء المتكرر مع الموت، وحتى عندما جاءت اليه حبيبته

Digitized by Birzeit University Library

لم تخرجه حتى الى الحياة العادية وطقوسها والتي جاءت هي الاخرى في اطار دائرة طقوس الموت التي رسمها "ص"، ارادت له ان يبدأ من جديد ويرد اليه اعتباره، فيرده ذلك الى صاحبه الذي سجن خمس سنين، اكتشفوا انه بطل فردوا اليه اعتباره بقطعة قماش صغيرة لتردد ثانية الى الموت.

انها دائرة "مغلقة" يحاول كل منا كسرها او التحليق بين محيطها، "س" عاشها تحطم وانهار مع انهيار "الهارمونيكا" ووجد نفسه اخيرا يلتقط ما بسط من الاشياء حوله فهواياته كانت التدخين والشرب (الهرب من الحياة والعيش على هوامشها)، التقط الغلاف الداخلي لعلبة سجائره (ورق القصدير)، القى بعلبة السجائر جانبا، والتقط مشطا، رتب شعره بعض الشيء، غلف المشط بورق القصدير وراح يعزف سيمفونيته الخاصة، عاد "للهارمونيكا" ثانية ولكنها هذه المرة مرتبطة بدائرة طفولته وعبثيته وهروبه وحياته.

تنتهي المسرحية بهذه البساطة، ينزل الممثلون الى القاعة ويختلطون مع الجمهور ويحتل بعض الجمهور حلقة العرض، يتحول "س" الى الناس والناس الى "س"، من يكسر الحلقة؟! من يعيد التفكير بالصفات المتراكمة التي طرحتها المسرحية؟!

بهذا الاسلوب العبثي، والبحث عن الذات، "والبحث" في الذات يتحد الكاتب والممثل وحلقة المسرح الدائرية ومسرح الحلقة الدائرية في دائرة اكتشاف الذات والخروج من دائرة الخوف - الموت - الخوف، لاعادة صياغة الحياة.

هل انتهى العرض: لا، انتهى عرض الممثلين في تلك الدائرة داخل صالة العرض، والعرض ما زال حيا في حلقات علاقاتنا مع ذاتنا وما يحيط بنا، هكذا هي الظروف التي نعيشها تحطم كل ما هو جميل حولنا وتقتل آمالنا، وتجعل من الانساني حيواني ومقرف وتستمر الحياة بمتاعبها، تتفتت الصخرة وتطفأ النجوم، لماذا حدث كل ذلك؟ هل بسببنا نحن ام بسبب ما يحدث حولنا؟ ولماذا يحدث ما يحدث حولنا؟! فهل تتحطم الدائرة وتتكسر؟ كيف؟ اسئلة ما زالت مطروحة، أثارها الكاتب والممثلون ولم يجيبوا عليها تماما، لماذا؟! الحياة ما زالت مستمرة في دائرة تغيراتها بالترقب - بالفعل - بالمشاركة - بالانهزام - بالحياة العادية وطقوسها، بالحياة الفاعلة وطقوسها، ربما يكون المشط وورق القصدير بما ترمز اليه هي العلامات الاولى لطقوسنا و"توافقنا" دون الحاجة حتى لمصطلح "هارمونيكا".

*****

«الوسية» معالجة رومانسية جديدة على طريقة خليل حسن خليل

ما يخرج من القلب يعرف طريقه الى القلب... هذا ما اكده الجميع عن مسلسل "الوسية" في الندوة التي عقدها اتحاد الشباب التقدمي بحزب التجمع واشار عادل الشوى رئيس الاتحاد الى ان جمهور المشاهدين التف حول المسلسل اثناء اذاعته بعد ما وجدوا فيه تعبيرا عن همومهم وقضاياهم التي التقت مع هموم وقضايا صاحب السيرة الذاتية.

واكد "حلمي ياسين" و "سعد رحمي" و "محمد عراقي" في شهاداتهم صدق المسلسل في التعبير عن هذه المرحلة التاريخية التي عاشوها واشاروا الى انه المسلسل الاول من نوعه الذي اجاد طرح قضايا الفلاحين المصريين دون تشويه او زخرفة او ادعاء.

حضر الندوة ابطال المسلسل احمد عبد العزيز واحلام الجريتلي وسناء يونس وعلى عزب ومحمد ناجي والمؤلف د. خليل حسن خليل وكاتبة السيناريو يسر السيوفي والمخرج اسماعيل عبد الحافظ، وادار النقاش الكاتبة فتحية العسال التي اكدت على تفوق المسلسل بارتباط جمهور المشاهدين به.

وركزت الناقدة "فريدة النقاش" على زاويتين، الاولى هي اختلاف العصامية كما طرحها المسلسل عن المعتاد فجاءت ثروة العصامي في الوسية فيما يمتلكه من ثروة اخلاقية وثقافية وانسانية وليست ثروة مالية. والزاوية الثانية هي الاطاحة بكل الافكار الرومانسية القديمة التي نجدها في الاعمال التلفزيونية والسينمائية.

ولكن المؤلف د. خليل حسن خليل يرى ان المسلسل احتوى على ثلاث قضايا اساسية يجب القاء الضوء عليها في حزب التجمع الذي يمثل بؤرة وعى ونضال طويل.

الاولى: هي قضية ضياع الارض الوطنية على ايدي الخواجات.

والقضية الثانية هي مجانية التعليم التي ابدع اسماعيل عبد الحافظ في تصويرها في مشهد جنازة التعليم.

اما القضية الثالثة فهي القهر والاستغلال وامتهان الانسان.

Digitized by Birzeit University Library

تليفزيون

فن

فاتن "وضيرابله حكمت" امرأة لكل العصور

ماجدة موريس

هل كانت «فاتن حمامة»، سيدة الشاشة العربية خمسين عاما، تراهن على جمهور اكبر مما تكون لها في السينما، عن طريق التليفزيون؟

ام انها ادركت ان عليها الاقتراب من جمهورها «القديم» من مدخل جديد ومضمون اكثر قوة من المعتاد في غالبية الافلام السينمائية.

ام انها ادركت، بثاقب بصرها وبصيرتها الفنية، ان السينما لم تعد الجواد الرابح في ظل ازمة طاحنة تعيشها منذ سنوات، مما دفع جمهورا كبيرا الى الهروب منها للتليفزيون، والفيديو؟ ...

قد يكون احد هذه الافتراضات او كلها معا هو سبب «خروج» فاتن من دارها القديمة، العتيقة، الى دار جديدة، للممارسة فيها شروط مختلفة عن السينما فالعمل قاس يمتد لساعات طويلة، والشروط الملائمة له غير مريحة لمن كان من طراز النجوم او (سوبرستار) مثلها، ثم ان الكاميرا التلفزيونية لا تخدم الممثل وانما الممثل هو الذي يخدمها وهو ما لاحظته الممثلة الخبيرة وطلبت تغييره ... ايا كان الامر فهي لم تذهب الى رحلة مريحة، وانما رحلة نصفها مجهول، والنصف الاخر معبد بالدعاية التي استثمر خلالها قطاع الانتاج بالتليفزيون وجود «فاتن حمامة» ضمن فريقه افضل استثمار ولفترة طويلة، حتى تهيأ المشاهدون لها من قبل البداية ولكن يبقى ان اهم ما يخص العمل «موضوعيا» هو قطباه الرئيسيان، المؤلف والمخرج، اي «اسامة انور عكاشة» الكاتب التليفزيوني الاول، و «انعام محمد علي» احد افضل خمسة مخرجين تليفزيونيين في العالم العربي فماذا قدم لنا هؤلاء؟.

حقيقة - ام مبالغة

ومن الانصاف ان تكون «فاتن حمامة» هي مدخلنا للعمل، فهي القادمة على بيت المؤلف والمخرجة، كما انها مدخل المؤلف نفسه في طرح عمله القائم على «النموذج» الدرامي الفائق النبل والاقتدار والتمسك بالقيم والمبادىء. وهو نموذج دائما ما يحبه المؤلفون ذوي الاهداف الواضحة، والافكار المتبلورة من قضايا العصر، انه اقرب الى سيرة «توماس مور» السياسي الانجليزي النبيل وبطل (رجل لكل العصور) والى شخصيات اخرى، واقعية وخيالية، قدمتها السينما من قبل وتصلح في كل وقت لتطرح المبادىء الصحيحة وسط الزيف والاباطيل. كما انها تصبح حجة «على الازمنة ودليلا على اتصال الماضي بالحاضر وهذا ما فعلته السيدة «حكمت هاشم» بطلة المسلسل وناظرة مدرسة (نور المعارف) الثانوية للبنات التي اصبحت مدرسة نموذجية على يديها، فاصبحت سيرتها على كل لسان من ألسنة مسؤولي التعليم في الدولة.

ومن المهم ان نؤكد ان هذا النموذج، ان تخيله الكاتب البارع، او عرفه عن قرب، فلا فارق، فالحلم احيانا يوازي الحقيقة في اوقات مختلفة، وتاريخ التعليم في مصر ملىء بالنماذج الجليلة التي تجمع بين الكفاءة والعبقرية والشرف (منهن على سبيل المثال «نبوية موسى - فردوس سعد - مارى سلامة» ومن المثير للالم حقا ان تلك النماذج كان لها من القوة والشكيمة ما يجعلها تسلك نفس سلوك «حكمت هاشم» في مواجهة أعلى المسؤولين في الدولة، ومع ذلك، فان تلك النقطة بالذات «تعتبرها الكثيرون من قبيل المبالغة الشديدة بعد ان

Digitized by Birzeit University Library

استثمرت المحسوبية واصبح اصحاب المناصب القيادية في عصرنا يختارون - غالبا - من الشخصيات الضعيفة المهترئة.

رسالة تحذير من معاداة المرأة

وعلى مستوى آخر يثير المسلسل بمباشرة، وبغير مباشرة، قضية الموقف من المرأة في مجتمع اصبح عليها وحدها كل تبعات التخلف، وزمن يرفض الاعتراف بقيمة اي امرأة، بل انه يحمل على الرجال انفسهم من رموز عصر التنوير، من «قاسم امين» الى «احمد لطفي السيد» وغيرهم، ويتهمهم باشياء كثيرة اقلها افسادهم للنساء، من هنا يقدم المسلسل في شجاعة بطلته لتقود المثل الاعلى، ويطرح معها قضية تعليم البنات، اللاتي يتعرضن لحملة شعواء من قبل جماعات التطرف ترفض ممارستهن لكل سلوكيات الحياة الطبيعية، وربما يتطور الامر قريبا الى المطالبة بالغاء تعليم البنات نفسه على اعتبار ان المرأة مآلها - في النهاية لبيت الزوجية!.

ومن هنا يصبح طرح «اسامة انور عكاشة» في هذا المسلسل للنموذج القدوة، وللقاعدة العريضة معا، هو رسالة تحذير واضحة ضد معاداة المرأة في مجتمعنا، تنضم الى رسالة سابقة قدمها الفنان الكبير الراحل «صلاح جاهين» منذ خمس سنوات في مسلسل (هو وهي)، حيث التقط من بين افكار الكاتبة سناء البيسي. قصة (جرس الفسحة) ليعبر خلالها عن وجهة نظر في حملة «كراهية المرأة» وليبدع اغنية تقول (البنات البنات ... افضل الكائنات) يتحدث فيها عن ابداع المرأة الذي تظلله عدالة الخالق ببساطة فنية ساحرة، ولكن تلك الصرخة لدى «صلاح جاهين» لم تجد على ما يبدو، وها هو «اسامة انور عكاشة» يفردها رسالة طويلة في ثنايا قضية التعليم برمتها،

لقطة من المسلسل تضم يوسف شعبان وفاتن حمامة وماجدة حمادة

وهي رسالة حاسمة فكريا ودراميا، لانها تفرق بين الحق والباطل، فالاساس والمنتهى للانسان هو ضميره وكفاءته وشرفه سواء كان رجلا ام امرأة، من هنا المدخل بنى الكاتب درامته، وصاغت المخرجة القديرة رؤيتها، وصالت الفنانة صاحبة التاريخ الطويل وجالت لتقدم

Digitized by Birzeit University Library

انشودة «حكمت» التي عاشت تدفع وتبذل وتعطي الكثير، وتعيش حياتها العامة فقط كمربية لاجيال من البنات بعد ان انتهت حياتها الخاصة بفراق مبكر ... ورحيل الزوج الى الخليج.

ولقد حرص الكاتب على اختيار صلابة شخصيته المحورية واستمرارها نموذجا حتى النهاية، برغم خروج بعض اختياراته عن سياق الاحداث الاصلية الخاصة بقضية التعليم، من هنا جاءت حكاية، الملايين التي هبطت عليها كنبت غريب، لكنه تحد ملائم لتلك الشخصية ومبادئها وسلوكياتها، ومن هنا ترفض ابلة حكمت الثروة الضخمة، بعد ان استحال عليها استخدامها لفعل الخير ثم تأكدها ان المال، المريب المصدر، هو شر لا ريب فيه، حتى على المستوى الذاتي وان المبادىء لا تتجزأ.

ورأت حكمت ما تجهله

وعلى مستوى ثالث، فان صياغة العمل في اطار الدراما الشخصية المحورية وليست الدراما المستعرضة لمرحلة ما مثل (الشهد والدموع) و (ليالي الحلمية)، لم يمنع المؤلف من مواصلة رؤيته، متخذا من ابلة حكمت واجهة جذابة وانيقة، ومن زميلاتها في هيئة التدريس، ومن تلميذاتها في مقاعد الدراسة، ادوات الصراع الذي يؤمن به من خلال سلسلة اعماله السابقة، فها هو يطرح قضية التفاوت الطبقي الكبير من خلال قصة التلميذة (ريم) التي يصل نفوذ ابيها (الرشيدي بك) الى اختراق كل شيء، حتى ماشم «حائط الصد» الاخير اي «حكمت هانم» التي روعت لما كانت تجهله عن الواقع، وروعت اكثر حينما اندفعت وراء رغبتها في الانحياز للحق عندما رأت كيف يبيع أب ابنته الطالبة المتفوقة لكهل خليجي ثري، وكيف تصبح عملية الدروس الخصوصية لهيبا يحرق مجانية التعليم واهدافها النبيلة الخ ... وهي اطروحات مختلفة تماما عن اطروحات فاتن طوال عمرها الفني المديد، باستثناء دورها الفريد في آخر افلامها (يوم .. مر، يوم حلو) منذ اربع سنوات، والذي قدمت فيه من خلال اطروحات الكاتب «فايز غالي» والمخرج «خيري بشارة» صورة بالغة العمق والصدق لامرأة مسحوقة في مجتمع يتميز طبقيا كل يوم عن سابقه، فيدوس تحت اقدامه طبقات عديدة كانت ذات يوم صاحبة مكانة ... وكرامة.

من الفائز ...

ولقد احتفظت فاتن حمامة في (ضمير ابلة حكمت) بأسلوبها الشخصي في التعبير واطلالتها الفريدة، في الصمت او الكلام، وحتى طريقة ملبسها الكلاسيكية ونطقها الانيق - المتزايد احيانا - ولكنها ايضا انتظمت في مدرسة القائدة «انعام محمد علي» ترى بعينها وتنفعل بانفعالاتها، وتدخل مناطق ساخنة جديدة عليها، ومناطق جديدة في التعامل مع اجيال من البنات بمفهوم جديد، وتتبارى مع فريق كفء من الممثلات والممثلين اقلهم زملاؤها في اعمالها السينمائية السابقة مثل احمد مظهر وجميل راتب وملاك قابيل، والبعض له مكانته المسرحية مثل عايدة عبد العزيز وسميرة عبد العزيز ورشوان توفيق، اما الاغلبية فهي اجيال تنتمي الى التلفزيون اولا، ظهرت من خلاله واصبحت لها قيمتها في عيون مشاهديه مهما امهلتها السينما او اكبرتها مثل صابرين، محمود الجندي، حسن مصطفى - سناء يونس - عبلة كامل - ابراهيم يسري - نادية فهمي - سوسن بدر - يوسف شعبان - عادل امين - محمد كامل - محمد عبد الجواد، نادية فهمي، علي عبد الرحيم وغيرهم ممن ادين ادوار الطالبات في المدرسة، وهن وجوه جديدة تماما استطاعت المخرجة القديرة تدريبهم الى درجة الاتساق الكامل مع العمل ...

في النهاية ... يبقى السؤال الاخير، هو، من الذي كسب، هل مسلسل «فاتن حمامة» ام انه مسلسل «عكاشة وانعام محمد علي»؟.

والواقع ان الاجابة تقدمها مؤشرات عديدة، فلقد اضاف (ضمير ابلة حكمت) قطاعا جديدا للمشاهدة ... بورجوازيا قديما مغرما بفاتن الى قائمة مشاهدي التلفزيون، كما انه جذب الاغلبية الصاعدة التي سمعت عن (الاسطورة السينمائية) من خلال الماضي، وافلامه، ومن خلال طبول الاعلام التي لم تهدأ حول المسلسل، لكن الكاتب والمخرجة اصبح لهما اسم ومكانة منذ سنوات تجذب كل قطاعات المثقفين المصريين.

وفي النهاية فانه اذا كانت فاتن حمامة هي الاسم الذي ظفا على السطح فان ما تركه المسلسل لدى الناس، وهو الابقى، هو فكر المؤلف، وصياغة المخرجة، وهي توليفة لا يمكن ان تكون فاتن بتاريخها الطويل منحازة لها ولكنها بذكاء فني واجتماعي حاد ادركت ان المجتمع يتغير ويحتاج لمداخل جديدة للتعبير عنه، وقد حدث هذا منذ سنوات من خلال آخر افلامها، ثم الان من خلال الشاشة باب التليفزيون محملة برسالة فنية وفكرية جديرة بالاحترام.

عن مجلة «اليسار» المصرية

العدد ١٥ / ايار / ١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

"احلام"

جمال القواسمي

نظر الى ساعة ابيه، الذي كان (يوضب) ثلاجة المرطبات. كانت الساعة الثانية والثلث. والقى نظرة على الشارع البعيد. وفجأة سمع ابيه صارخا: "فؤاد، اذهب واحضر صندوق (كازوز)! هيا، اسرع!!" هز رأسه وذهب الى المخزن ورجلاه تلتهم الارض التهاما. وتعثرت قدمه اليسرى بحجر فوقع، لكنه نهض متثاقلا، وعاد سريعا الى والده ومعه نصف صندوق من الشراب.

- "الم اقل لك صندوقا كاملا!" تساءل الوالد حانقا.

- "نعم، سأحضر الباقي حالا!" قال فؤاد وهو يهز رأسه، وكان يفكر بشيء اقلقه مؤخرا وهو ان كل شيء صار ثقيلا، لسبب لا يدريه. ونسي الفكرة حينما شاهد مجموعة من الفتيات وهن في لباسهن المدرسي الموحد الجميل. بلع ريقه واختلس نظرة اخرى على ساعة ابيه.

- "ماذا تنتظر ايها الكلب؟ هيا احضر النصف الآخر!" نهره والده لخيبة امله بابنه.

انطلق فؤاد ليجلب باقي زجاجات الشراب. وعند المنعطف اصطدم بطفل لا يتجاوز الثالثة من عمره، ووقع فؤاد على ركبته اليسرى، فألمته الما شديدا، فبكى، وراح يتأسف ويعتذر للطفل الذي لا يعي، "آسف، آسف، والله لا اقصد!" لم يعرف لماذا وقع دونما سبب. لكنه لم يفكر بذلك طويلا. ونهض على قدميه، واخذ يعرج، وتململ واحضر باقي الصندوق.

نظر فؤاد الى ساعة ابيه: اصبحت الساعة الثانية والنصف تقريبا.

- "ما هي الا بضع دقائق!" قال فؤاد بصوت خفيض. وانسل ببطء الى حيث الاولاد.

- "اين؟" سأل الوالد ابنه بحدة.

- "هناك، مع الاولاد". اجاب فؤاد

- "اجلس هنا ولا تتحرك! لا وقت للعب! الا ترى السواح يحتاجون الخدمة؟ امكث هنا، افهمت؟"

بعد دقائق، رأها آتية من مسافة بعيدة، تلبس المريول الاحمر والكحلي، والضفيرة الشقراء تتدلى خلف رأسها، وعيناها الزرقاوان تارة، والخضراوان تارة اخرى، تلمعان بدفء غامض، لم يدر له سببا سوى الافتتان، والبشرة البيضاء الناصعة كالياسمين لونا ورقة ورائحة. اختلس نظرة اخرى قبل ان تختفي خلف مجموعة من الناس، وانطلقت من فمه، "آه"! ووجد نفسه يسحب نفسه شيئا فشيئا، وأباه مشغول بالبيع، الى نهاية الشارع، حيث يلعب الاولاد، وحيث تمر احلام من هناك كل يوم. كان الشارع طويلا، الامر الذي يستغرق احلاما وقتا ليس قصير لقطعه. هكذا، كل يوم يفعل فؤاد ويتسلل الى نهاية الشارع ويقف هناك ليرى "احلاما" اطول مدة ممكنة. وكان قلبه دوما ينتعش، ويحس بأن ثمة شيئا جديدا يحسه لاول مرة، حينما يراها. ومرت احلام من امامه، وكان بين لحظة واخرى ينظر اليها، حتى اختفت عن الانظار. وجذب انتباهه اقتراب ولد منه وجاء يتحرش به. كان فؤاد هزيل البنية وضعيف الجسم، دونا عن الاولاد جميعا، وكان الاولاد يستلقون عليه، حتى اولئك الاصغر منه سنا وحجما. وكان بين الفينة والاخرى يأكل وجبة طازجة منهم، يكيلون فيها باللكمات والركلات.

- "ابتعد عني يا جابر، انا لا امزح معك!" قال فؤاد بخوف لجابر الذي تحرش به.

- "لا اريدك ان تمزح معي، ايها الجبان!" قال جابر وهو يضحك. "لكن انا سامزح معك قليلا! تذكر فؤاد كيف يكون مزاح جابر. سيصفعه صفعة، وسيطلب جابر من فؤاد ان يردها ويستر شرفه لكن فؤاد لن يرد الصفعة. لن يقوى على ذلك. سيتقرب جابر خده الى فؤاد ويمتد يديه خلف ظهره ويقول لفؤاد تفضل اصفعني لكن فؤاد لا يصفع.

«لماذا لا تصفع ايها الجبان؟ اصفعني؟» قال جابر صارخا تارة ومتضرعا بنبرة مضحكة تارة اخرى. وضحك في الحالتين كل الاولاد. «ام انك شاطر فقط في المدرسة؟» وتقول للاستاذ اني امضي وقتي كله في اللعب في الشوارع هه؟ شايف حالك على ايش؟ وضحكت علي حينما ضربني ذلك الاستاذ البليد هه؟ تضحك هه؟ لكنك الان على وشك البكاء! اعرف شيئا ايها الجبان، ايها الاول في الصف :انا لا اخاف استاذك! انا لا اخاف احدا! هيا اصفعني !كن رجلا! منشان الله اصفعني! اصفعني سأبوس يدك، سأبوس رجلك، سأبوس ط...اصفعني! صرخ جابر بفؤاد والاولاد يقهقهون بجنون، لكن فؤاد لم يتزحزح قيد انملة. وسرعان ما انهال الاولاد عليه وصفعوه وضربوه في وجهه وصدره وبطنه. اما جابر فقد نهرهم عنه، وركله في رجله اليسرى، تماما تحت الركبة،

Digitized by Birzeit University Library

حيث شعر بآلام حادة موخرا. فبكى، واصابه حزن شديد لان الاولاد صاروا يدعونه يا جبان! يا جبان! "ووجد شيئا من الملوى حينما سمع ابيه. وتفرق عنه الصبية حالا، وعاد هو الى «بسطة» والده، والدموع تترقرق في عينيه.

«واين انت ايها الكلب الخسيس؟ اني ابحث عنك منذ مدة، وادعوك فلا تلبني ذنائبي؟» صرخ الوالد وهويطيح صفعة على خد الصبي.«ما هذا؟ ما بك؟ انت تبكي؟ اجعلت احدا يضربك؟ أحد من الاولاد ضربك؟ اه منك ايها الجبان؟ اتخاف، ايها الجبان؟ «صرخ الاب، وصفع ابنه صفعة اخرى.

ذهب فؤاد وجلس على درجات مستشفى «الهوسبيس» كان فؤاد يحب ذلك المكان كثيرا. كان فؤاد في الثالثة عشرة من عمره ، اسمر الملامح، وذا شعر اسود، وهادئا يطبعه وجبانا في نظر الاخرين. كان - على رأي "احلاما" - يحس بشيء كبير في كيانه نحو تلك الفتاة الرائعة التي تقاربه في السن. كان يرى فيها ما لم يراه في اولئك السائحات الاجنبيات الحسناوات، المزلطات او المتبرجات. كان يحس بشمة شيء يربطه بها، بشيء له علاقة بالنمو والاستمرارية والحياة. لكنه، في نفس الوقت، احس بشيء آخر، ايضا وكان بشيء مر كثيرة وقوعه دون سبب، بالاضافة الى الآلام التي تلسعه من حين لآخر في رجله اليسرى. لم يقل لابيه او لأحد ما عن ذلك. وكثيرا ما قال في نفسه، "لماذا اقول له؟ سيضربني ويقول لي، هل تريد ان تذهب الى البيت وتترك (البسطة)؟ اتريد ان تتهرب من الشغل؟ هاه؟"

كان ذلك يوما ذاق فيه طعم التعاسة حقا. حتى انه لم ير صديقه الوحيد، جاسم، الذي يأمن بالحديث معه. وفي اليوم الثاني حدث شيء لم يتصور حدوثه ابدا. كان أنشد في المدرسة. طلب من الاستاذ ان يسمح له ان يخرج الى "الحمامات"، فأذن له. لكنه كان يشعر برغبة جامحة للتبول، وحينما حاول ان يركض ليصل "الحمامات"، تعثر وسقط ارضا. كانت رجله تؤلمه بشدة، ولم يستطع ان يركض. وفي منتصف الطريق، قبل ان يصل الى "الحمام" لم يستطع ان يسيطر على نفسه، فتبول في ملابسه دون ارادة منه. رآه المدير، فرثا لحاله وسمح له ان يغادر المدرسة ويأخذ عطلة في ذلك اليوم. انه من اوائل الطلبة وسيعوض دروسه، بلا شك، هكذا فكر المدير. اما في الصف فضحك عليه جابر والتلاميذ وحتى الاستاذ. ووجد فؤاد نفسه يخرج من الغرفة وهو منكس الرأس واحساس بالعجز والضعف واحتقار لذاته يغمره. وحتى والده عنفه وصفعه. ونعته بـ "الشخاخ" وأمره بالذهاب للبيت والاستحمام وتغيير ملابسه والعودة الى (البسطة). وعاد الى البسطة ليجد والده يشكو سوء حظه بابنه لاهالي الحارة. وما احزنه اكثر هو تردد لقب "الشخاخ" على السن بعض الاشخاص وكثير من الاولاد. فانزوى عند درجات (الهوسبيس)، حزينا كئيبا. وانتظر صديقه جاسم، الذي يخرج من مدرسته في الساعة الثانية تقريبا. كان فؤاد وجاسم قريبين من بعضهما في الروضة والصفوف الابتدائية الاولى. ورغم ان ابا جاسم نقل ابنه من تلك المدرسة لانه لم يكن راضيا عن مستوى ابنه الدراسي، فقد قويت علاقة فؤاد وجاسم اكثر مما قبل. وهما، قبل كل شيء، من حارة واحدة.

- "جاسم، مرحبا" قال فؤاد حين رأى "جاسما".

- "رأيتك من بعيد، فجئت لارى احوالك... وتحركاتك!" قال جاسم وهو يضحك. كان الاثنان يتبادلان اسرارهما الخاصة العظيمة. وكانت الاسرار العظيمة تتعلق، في نظرهما، بقصص الحب التي تزورهما. وكانت الكلمة "تحركات" مصطلحا خاصا بهما لا يفهمه احد. كان جاسم ممتلىء الجسم، طويل، ابيض الملامح، وشعره بني خشن. وكعادته كان فمه مفتوحا وهو يقهقه لمجرد سؤاله فؤاد لتوه عن "تحركاته"، لان جاسم كان يعرف ان فؤاد فاشل في الحب وحتى انه كان يدعوه، "يا خائب!"

- "لماذا لا تقل انت ما تحركاتك؟" اجاب فؤاد حالا.

اقترب جاسم من فؤاد. "امس، رميت لها قصاصة ورق، وكتبت عليها: "سندرس على السطح! انا فوق الدار!" ثم انتظرتها." قال جاسم وهو يضحك.

- "وهل جاءت؟" سأل فؤاد باهتمام.

- "طبعا! هه هه هه!"

- "وهل عرفت اسمها؟"

- "اسمها نجوى. انها جميلة جدا! اتعرف ما حصل؟"

- "ماذا؟"

- "لقد هربت نجوى مني، هربت، "قال جاسم واقترب من فؤاد اكثر، "هربت بعد ان لمست يدها وامسكتها... لكنها كانت تضحك!".

- "لماذا امسكت يدها؟ لقد اخفتها وجعلتها تهرب... يجب ان تصادقها، ان تكونا صديقين!" قال فؤاد محتدا.

- "لكنها كانت تضحك!" "قال جاسم مندهشا." قسما بربي، انها تحب ان امسها. كانت تضحك!" اضاف بثقة.

- "انت لا تعرف ما هو الحب! من يحب احدا لا يخيفه ولا يغضبه!" قال فؤاد بهدوء، وهو ينظر الى الشارع البعيد.

- "يكفي انك وحدك تعرف معنى الحب، لكن"، إستدرك جاسم، "قل لي ماذا فعلت انت!"

- "لا شيء".

- "لا شيء؟ تعجب جاسم والقى على فؤاد بنظرة نفاذ

Digitized by Birzeit University Library

صبر. "لا شيء على الاطلاق؟ يا لك من خائب! أو ربما يجدر ان ادعوك "راهب" خلال يومين، رأيت نجوى، وقابلتها فوق السطح وتكلمنا ولمست يدها. وأنت منذ بداية الدراسة وانت تحكي لي عن احلامك، ولا تفعل شيئا؟" لم يقل فؤاد شيئا وراح ينظر نحو الشارع البعيد. "ولماذا لم تفعل شيئا؟"

- "لا استطيع ان اتكلم".

- "هاه، حسنا! وجدت الحل: ما رأيك ان اكلمها عنك بنفسي غدا وهي في طريقها الى البيت؟"

- "جاسم! لا تفعل ذلك ابدا، اتفهم؟ لا تفعل ذلك ابدا!" قال فؤاد بانفعال.

- "طيب!" قال جاسم بحدة. "هي في طريقها الان الى هنا، صحيح؟"

- "نعم." قال فؤاد وهو يتفحص الطريق. "ها هي قادمة، تلك التي الى يسار المجموعة ذات الضفيرة!"

- "انها جميلة جدا!" قال جاسم ليغيظ فؤاد ويلهب غيرته التي يعرفها جيدا.

- "ماذا؟"

- "لا شيء، لا شيء." قال جاسم وانفجر ضاحكا وجسمه يهتز.

- "فؤاد! فؤاد!" نادى الاب ابنه، وصفعه لانه كان بعيدا عن (البسطة).

بقي فؤاد طوال نهاره في (البسطة). صارت احلام لا تفارق ذهنه وخاطره كان يفكر حاول ان يستعيد ما رآه في الحلم فشل. وتمنى فؤاد ان ينقضي الليل بسرعة، وتنتهي الدراسة، ويلتقي بجاسم ليحكي له ما جرى حينما اتت "احلام" لتشتري عصير البرتقال.

لكنه في اليوم التالي، وفي الفرصة، آلمته ركبته اليسرى الما شديدا، حتى ان المدير اعطاه اذنا بالرواح. فذهب الى أبيه وهو لا يستطيع تثبيت قدمه على الارض. كانت ركبته ورجله اليسرى تؤلمه لدرجة انه كان يتكىء على الحائط وعلى يده. وصل ابيه وهو يبكي. اخذه الى العيادة القريبة. وانتظر الطبيب طويلا. وبدأت نوبة الالم تخف، وكادت تتلاشى. ثم دخلا الى غرفة الفحص.

- "نعم، نعم!" تمتم الطبيب. "يجب ان يجري بعض الفحوصات: اشعة، دم، بول.." قال الطبيب مبديا اهتماما خاصا.

- "هل يوجد شيء يا دكتور؟" استفسر الاب باضطراب.

- "سيجري الفحوص.. وسنرى." قال الطبيب بتردد. وبالصدفة حرك الطبيب يده، رأى فؤاد ساعة الطبيب تشير الى الساعة الثانية والنصف تقريبا.

- "هل استطيع ان اعود الى (البسطة)؟" قال فؤاد متلهفا على الخروج.

- "لا. سنجري بعض الفحوص البسيطة؟" اجابه الطبيب.

- "لكن لا يوجد الم ابدا!" قال فؤاد.

- "اعرف. لكن ستأخذ وقتا قصيرا".

تخيل فؤاد "احلاما" وهي تأتي من بعيد، ثم تمشي على طول الطريق، صغيرتها خلف رأسها، جبهتها الغراء وخديها المورديين. عاد بذاكرته الى مساء أمس، حينما جاءت تشتري العصير، وهي تركض، وشعرها الاشقر المتموج يدفعه الطوق الى الخلف، وعيناها الزرقاوان تارة والخضراوان تارة اخرى تلمعان بدفء. وراح يتخيل. تخيل كيف ستبدو في الغد وهي عائدة من المدرسة، وتخيلها كيف ستبدو بعد اسبوع. وتخيل انهما تلاقيا وتكلما...

وبعد اسبوع حافل بالتردد على المستشفيات والمختبرات الطبية لاجراء فحوص معينة، قال الطبيب لابي فؤاد: "سأعطيك عنوان طبيب عظام مشهور، رغم يقيني انه لن يستطيع ان يدلك على علاج او دواء لابنك. يؤسفني ان اقول لك ان مرضا خبيثا يستوطن عظام رجله اليسرى. ولقد تأكدنا ان الرجل اليمنى مصابة ايضا، لكنها في مرحلة تمهيدية. سيكون هذا الصبي معاقا طيلة حياته! وربما كان من الافضل له ان تبتر ساقه.." قال الطبيب، لكن ثمة صراخا انفجر فجأة في العيادة، "يا دكتور، الحقنا يا دكتور! حالة طارئة، الحقنا" فترك الطبيب فؤاد وخرج من غرفة

Digitized by Birzeit University Library

الفحص. كان فؤاد قد سمع كلام الطبيب وفهمه. ولاول مرة آلمه شيء ولم يبك. حتى انه رأى اباه يبكي، ولم يفعل مثله، واكتفى بأن استسلم لابيه الذي حمله بيديه القويتين واسنده على صدره وراح يربت على ظهره برفق وحب. وحينما خرج فؤاد من غرفة الفحص، رأى منظرا مخيفا جعله ينفجر بالبكاء بلا وعي. رأى "احلاما". لا، لم تكن "احلام" احلامه الحقيقية. كانت مسجاة على ظهرها وقد اختفى وجهها، وشعرها الاشقر وجبهتها الغراء تدلظت بالدماء والقيح والرعب. وزي مدرستها الاحمر والكحلي قد تمزق واظهر جسدا مبعوجا محطما. كان الطبيب والممرضة قربها يفحصانها بيأس. "يا له من سائق طائش!" قال شخص ما. "انها ما تزال طفلة"! قال آخر. "انها ميتة"! قال الطبيب بأس. واخذ فؤاد يبكي، يبكي بحرقة والم ومرارة، ويردد بصوت خفيض غير مفهوم، وعيناه مسمرتان على جثة الصبية. "احلامي! احلامي! قتلوا احلامي! قتلوا احلامي!"

احتضن طفلته، قبلها فابتسمت وامتدت يدها الصغيرة تداعب انفه وتعبث بخصلات شعره المتهدلة، سقطت دمعة حيرى وقبل ان تسقط اخرى انتزع نفسه انتزاعا ... صرخت الطفلة وبكت الام الشابة ... خرج لا يلوي مكفكفا دموعه!

جاب شوارع وازقة المدينة "الصاخبة"، الغارقة في فوضى وعبث تفاصيل الحياة اليومية، اخذ يتفرس في وجوه الناس ويتأمل واجهات المحال التجارية وعربات الباعة المتجولين ... ولف الى محل صغير لبيع الادوات المنزلية ... سلم بحرارة على صاحبه وهمس في اذنه بكلمات تركت اثرا واضحا على وجه صاحب المحل ... خرج تشيعه نظرة حزينة اسفة.. راح ينفذ السير هائما وقد كف عن مراقبة الاشياء والناس من حوله حتى وجد نفسه امام البحر ... انفرجت اساريره وعلت شفتيه ابتسامة شاحبة ... شمر بنطاله الى الركبة واتجه نحو الشاطيء تداعبه امامعا المياه الزرقاء بأصابع يده .. كان الموج عاليا وهدير البحر صاخبا!!.

سأل الضابط الزوجة الشابة "بفظاظة" منكرة - وهل تعتقدين انه سيظل طليقا حرا ابد الدهر؟! سنعثر عليه لا محالة.

كادت تبصق في وجهه المجدور ... اغمضت عينيها وسمعت هاتفا في داخلها ... ايها الغامض الكحلي اما لهذا الفارس الليلي المطارد ان يترجل عن صهوة حلمك المجنون؟!

المياه الدافئة تغطي قدميه وينطلق قلبه مغردا مع كلمات اغنية كان يحلو له ان يرددها امام زوجته ...

والضابط اللعين يواصل مهمته الشاقة ... يصغي الشاب مرة واخرى .. ويصرخ بتشفي حاقد: اخوك ليس اذكى من رجالنا ... وأمره لن يستعصي علينا اكثر من ذلك.

شعر برغبة جامحة في التبول لكنه كتم غيظه وحاجته وراح يحدق في السقف! تراجعت موجة لتندفع اخرى اندفاعة قوية مثيرة ... تطاير الرذاذ ... لسعته المياه ... فانتفض!.

والضابط الغاضب يضرب الطاولة بقبضته ويمسح العرق المتفصد عن جبينه.. ... ويشتم ويهدد ... ساعتقلكم جميعا ... حتى نجده!.

آه يا بحر - انطلق صوت من اعماقه - اهاجر اليك تطاردني العتمة وفوهات البنادق المتربصة ... تلاحقني بساطيرهم الشرسة وعيونهم الحاقدة ... فهل اجد لديك المأوى؟!

احمل اليك عذاب روحي المضرجة بصرخات طفلتي ودموع زوجتي وتأوهات امي !!

ويهبط قرص الشمس غارقا عند الافق في اديم الازرق الكحلي ... وتتكسر الامواج الثائرة على الشاطيء الرملي .. تهب عاصفة تعيده الى الواقع ... يلملم شتات فكره المبعثرة ويقر ...

يقفل راجعا الى وسط المدينة حيث مقر الحاكمية العسكرية.

بحر

تيسير عبد العزيز عزة

Digitized by Birzeit University Library

فجأة لم استطع رفع هامتي

دان الماغوط

ترجمة: سامي كيلاني

"ترانسفير" طوعي

مؤخرا يجري الحديث عن "ترانسفير" طوعي
طوعي الى ابعد الحدود، طبعا،
اجدادي "لامي وابي" اعتلوا الشاحنات
بتمام الطواعية.
لا بد انها الحقيقة، فليس من دليل على انهم قاوموا
او صرخوا عاليا.
ولم تسنح لي فرصة للقائهم
لأسألهم لماذا لم يقاوموا او يصرخوا؟

النظر مباشرة في العيون

منذ الطفولة علموني ان ارفع هامتي عاليا
وانظر في عيون العالم.
وفوق ذلك لقد حلمنا باستقلالنا لقرون
بدولة ذات سيادة
حتى لا نطأطىء رؤوسنا عند النظر
واليوم لدينا دولة السيادة ـ
اسرائيل الكبرى!
وفجأة لم استطع رفع هامتي
كلما حقرنا الاخرين وحططنا من قدرهم
كلما وجدت صعوبة في النظر مباشرة في عيون العالم
ناهيك عن النظر في عين ذاتي .

Digitized by Birzeit University Library

"نوستالجيا"

كل الناس يحنون للماضي، وانا مثلهم
كنت اتسلى به لاعوام خلت
منشوقا للايام الجيدة البعيدة
ايام طفولتي
عندما كنت في الثانية عشرة، فلسطينيا
تحت الاحتلال (البريطاني)
ربما اكون رقيق العواطف
ولكنني حتى هذا اليوم بالضبط
اذكر تلك الايام بحيوية وفخر:
المناشير، حظر التجول، والعمل السري
الاعتقالات، المظاهرات
الجنود بطاقياتهم الحمراء
الشعارات تكسو الحائط، العلم
"دولة يهودية"، "دولة اليهود"
وصوت وزير الخارجية البريطاني من المذياع
"ليس هناك امة يهودية، ليس هناك من تجري معه المفاوضات"
وتصريح المفوض السامي في صحيفة الصباح
"مشاغبات... لقد استعدنا النظام"
ملصقات رطبة على الحائط
اغتيالات... اذاعات سرية،
تلك اللحظة المفعمة بالانفعال عند عد الاصوات
بعد ظهر تلك الجمعة
في شارع هرتسل في روحوبوت امام مخزن وولف للكهربائيات
حيث وضع مكبر للصوت
وقفت هناك في الثانية عشرة من عمري وسمعت الصوت يقول:
"وهكذا تجمعنا لاعلان الدولة"
ليس بامكانك ان تنسى لحظات كهذه.
عندما اقترب العيد الاربعين
فكرنا بوضع منظار ضخم
لنعيد تلك الايام حية من جديد
من اجل اولئك الذين لا زالوا يذكرون،
ولاولئك الصغار الذين لم يكونوا هناك
وعندما ابتدأ قذف الحجارة
وعندما الصقت الملصقات بعجل على الجدران
والمظاهرات والاعتقالات
والمتاريس والسلاح المصنوع على عجل
اعتقدت ان احد المنتجين بحس وخيال
كان يعرضها كتمرين في الحنين
من اجل عيدنا الاربعين.

****

دان المأمور: شاعر اسرائيلي وظف مواهبه في خدمة الحركة الصهيونية والدولة. حائز على درجة الدكتوراة في الادب العبري، نشر الى جانب الشعر والنثر الفنائي العديد من الكتب في النقد الادبي والنقد الدرامي، وترجم عدد من مسرحيات شكسبير الى العبرية.

اعلن المأمور انفصاله المطاجيء عن "الاجماع الوطني" بصورة دراماتيكية علنيا من على منصة التظاهرة التي نظمتها حركة "كفى احتلال" في تل ابيب في كانون اول ١٩٨٨ والتي دعت الى مفاوضات اسرائيلية مع م.ت.ف، الانسحاب من المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطين الى جانب دولة اسرائيل. ومنذ ذلك الحين كتب المأمور قصائد ضد الاحتلال، من ضمنها القصائد المترجمة هنا. لقد كان حظه قليلا في نشر هذه القصائد في الاعلام الاسرائيلي، بعد ان كان نشر اعماله موضع تنافس في هذا الاعلام.

تمت ترجمة القصائد والتعريف بالشاعر من الانجليزية عن "Middle East Report"، آذار، نيسان ١٩٨٩.

Digitized by Birzeit University Library

كتابات

على حائط مهدوم

مجيد عستيني

(١)

لا اذكر شيئا يا قلبي
لكني اذكر اني احببتك
احببت الصمت على صوتك
احببت الورد على صدرك
لكني اذكر اشياء لا تذكر
اذكر احلاما قد تكبر
اذكر اقوالا قد تبتر
اذكر، او لا اذكر
لكني يا قلبي اتذكر
اتذكر نجما قد يأتي
او لا يأتي
اتذكر علما لم يسقط
اتذكر حلما قد يحبط.

(٢)

يا قلبي قومي عن قلبي
يا قلبي قومي لاموت قليلا
ليموت الصمت على شفتيك
لتموت الذكرى في وكرك
لتعيش الفكرة في عقلك
لنعيش سويا في دمعة
لنموت سويا كالشمعة

(٣)

وتجيء الحركة تأكل افكاري
ويجيء الصوت يبلغ حركاتي
واموت وحيدا يا قلبي
واموت وحيدا في الذكرى
وتموت معي اصوات وهموم

Digitized by Birzeit University Library

واموت ... اموت ...
لكني يا قلبي لن اعشق
موتي
لن اعشق موتي يا عمري
فالموت قميء يا عمري
والعمر قصير كاللحظة
تأكله الحركة والنغمة
وتشل جوانبه الكلمة
والنغم الصادر من قلبي
يتوهج كي يصبح لحنا مهزوما
كي يغدو فعلا مجزوما
كي اصبح وحدي مهموما
مهموما وحدي وبدونك
وبدونك اغدو مجنونا.

(٤)

يا وطنا يكبر في رئتي
ويصير دخانا وسجائر
وكحول تقتل اعضائي
وهموم تعبر وتغادر
فأنا اوهم نفسي بالثورة
واسمي نفسي بالثائر
مع اني مازلت صبيا
يتسكع في لغة العشق
ويسمي نفسه بالشاعر

(٥)

يا قلبي قومي عن قلبي
كي اذكر شيئا للقادم
كي ارسم رسما يتبرج
ويطهر اسمك من مرضي
يا قلبي قومي عن قلبي
كي اذكر شيئا عن حبي.

وتصاوير اخرى
واموت وحيدا يا قلبي
واموت وحيدا كالصوت
واموت وحيدا في صمت

Digitized by Birzeit University Library

بمناسبة اطلاق سراح الشاعر المصري محمد عفيفي مطر

حينما يستباح الشعر والشاعر

وسيم الكردي

... لا يحق لنا ان نفرح - الآن - لان السلطات المصرية قد اخلت سبيل الشاعر المصري محمد عفيفي مطر، بعد سبعين يوما من اعتقاله بذريعة موقفه من ازمة الخليج وحربه، حيث كان معارضا للوجود الاسطولي الاجنبي، ومناهضا لتلك الحرب المجنونة التي قادتها امريكا ضد العراق، ومستنكرا موقف حكومة مصر من ذلك كله.

لا يحق لنا ان نفرح، لان الفرح هو حالة الانسان الطبيعية، انما الحزن هو تلك الحالة الطارئة، فمن حق الانسان ان يترك الفرح يسري في انسانه لا يعكر سيره اي كان، اقول هذا مع ادراكي ان الحالة هذه حين نقيمها كسبب في العالم العربي، تتجلى كافتراض وهمي، لا يقوم على اساس واقعي، ولا يستند الى رؤية متفحصة لما يجري في هذا العالم من محيطه الى خليجه، لانه - وببساطه - ليس طبيعيا في حالتنا ان يكون الانسان حرا بالطبيعة، فهو لا يمتلك منها سوى خيار واحد احد، هو ان يكون تابعا بشكل مطلق لسلطات قائمة، وحتى هذا الخيار غير قائم لانه لا يقوم على اساس وجود خيارات عديدة ينتخب من بينها ما يلائمه، بل يساق اليه سوقا، كما تساق الابل، اما من يحاول ان يفترض ان بامكانه ان يتخذ ما يشاء من المواقف والقرارات ومن الحركة في المساحات، فله مصير اقله ان يكون مشابها لمصير الشاعر محمد عفيفي مطر، الذي اثرى التجربة الشعرية العربية المعاصرة، فكان مصيره ان يعامل معاملة الحيوانات كما روى هو بنفسه.

ولهذا لا يحق لنا سوى ان نغضب حين يساق الشاعر الى المعتقل لا لشيء اقترفه، او جريمة ارتكبها، او فعله شائنة قام بها، انما لانه اراد ان يكون انسانا (تصوروا اراد ان يكون انسانا) في عالم يضع اذباءه ومفكريه على مذبح سلطته، في عالم تحول فيه السلطات الشاعر الانسان الى "حيوان" او يرتدع!!!

والارتداع هنا لا يكون مقبولا الا اذا استكان الحبر في المحبرة، او انثنى الفكر الى درجة لا يستطيع فيها صاحبه ان يطاول قدم الجنرال، او حين لا يجيد سوى طقوس الانحناء على عتبات السلطة، او حين يصبح بوقا لنفير السلطة ومزمارا لغانياتها.

في عالم كهذا لا يحق لنا ان نفرح، وان اطلقوا سراح عفيفي مطر، فغيره سحب الى المورستانات وقضى على الارصفة مجنونا، او سحل، او هشمت عظمة رقبته او ... الى اخر ذلك من فنون السلطة وقدرتها الفذة على ابتداع اساليب التخريب والتعطيل، تخريب الجسد وتعطيل الفكر.

قد نقول لمحمد عفيفي مطر حمدا لسلامتك، ولكن اي سلامة!!! الم يترك الاعتقال فيك جروحا لا يشفيها الدهر؟! ايمكن لنا ان نسحب تلك الايام من عمرك، ونقذفها جانبا؟! ايمكن ان نلغي اثر محاولة سحب الانسان من انسانيته ايمكن ان نطمئن الى انتفاء تكرارها، وسببها ما زال قائما؟! جاثما على العقل والقلب. وقد يقول البعض انها تجربة يكتسبها الانسان، قد تكون هذه نتيجة، ولكنها ليست سببا ليندفع الانسان الى المرارة. فليس شرطا خوض التجربة ذاتيا لاكتسابها بما تحمله من الم وقهر وعذاب.

لا يحق لنا ان نفرح، لاننا نعرف السجن كما نعرف اصابع يدينا العشرة، لاننا نعرف اننا ان نتوب عن ارتكاب الكتابة، عن ارتكاب الابداع، عن ارتياد طريق موحش اخترناه، وما يترتب على ذلك من قهر.

لا يحق لنا ان نفرح، لان السلطات ما زالت قائمة، على اختلافها وتنوعها، ان كانت من صلبنا ولحمنا وعظمنا، او كانت جسما وعقلا غريبين ينوءان بثقلهما علينا حتى يصل الامر بهما لحشر انفهم ما بيننا وبين زوجاتنا في مضاجعنا.

لا يحق لنا ان نفرح، لان دم الشعر ما زال مباحا، ومهدورا وان اطلق سراح الشاعر.

لا يحق لنا ان نفرح لان حمأة الهيجان السلطوي، ما زالت في اندفاعتها الى ما هو بوهيمي، في زمن يدعى فيه الرجاحة، والاتزان، وهو يلوك العدالة بين ضرسيه، لاننا نعرف انه ما زال يتمرس فيما هو جوهري لدفاعه واندفاعه، دفاعه عن كيانيته المتساوقة مع ربتها الصائفة لمقولة "العالم الجديد" واندفاعه ليأخذ حصته المقررة، والتي بات يلعقها من قفا العباءات.

ويحق لنا ان نفرح فقط لان دم الشعر المسال، لا يلجأ الى الموت، وان زجوا بصاحبه في السجن او سحلوه او رجموه او مزقوه، او علقوه، لانه يسري ويسري في نسغ الجيل الطالع يوما ما، ولان الشاعر قادر على البقاء مسربلا بانسانيته، السارية في اوصاله.

ولهذا فقط قد يمكنني ان اقول للشاعر محمد عفيفي مطر حمدا على سلامتك.

ولكن ... اواخر ايار ١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

رسم الطفل رضوان ماجد (١١ سنة) من معرض رسومات الاطفال الذي نظمته جماعة ناجي العلي

Digitized by Birzeit University Library

ذكّريني، بحلمك الباقي

جورج ابراميم

كان الخريف ربيعا، والربيع شتاء والصيف بحرا متلاحم الامواج، وكنت اتنقل بين الموجة والموجة، تتقاذفني بحور الشوق، وتلسعني خيوط الشمس بسوط يترك بصمات داكنة فوق جبهتي، وتتغير ملامحي، وتتأجج النار في صدري، وتلتهم ما تبقى مني، واذوب.. اذوب في غيبوبة الحياة، فتتوه مني النظرات، وتتلاحق في الانفاس، وتقذفني نفسي في نفق الزمان واتوه.. اتوه.. اتوه.. اتطلع حولي، ابحث عمن ينقذني، فلا اجد غير خيوط العنكبوت الارضي، واصوات صماء بلهاء تغلفني، تتقاذفها رياح غريبة تتسلل الى عروقي، والقشعريرة تتملكني.. فتأتي من الشرق رياح تستلب البسمة من شفتي، وينتصب المجهول من امامي، فأكاد لا اعرف اين انا، ومن انا، ولماذا انا..

وفجأة.. يتراقص رسمك مع الاثير وعلى موجات السراب، ثم يختال شامخا وتقترب مني رويدا رويدا، فتسمر عيني على صفحات وجهك، واقحم نفسي في بريق عينيك، فاصفع بالنار تحرقني من جديد، وتواصل التهامي، فيتحرك الوحش في داخلي، يتحرر من القيد، وينتزع القضبان، ويندفع خارجا اليك فيختفي رسمك، ويعود الربيع خريفا، والخريف شتاء، والصيف بحرا متلاحم الامواج.

يحملني سواد الشرق ليلا، ويلقيني في احضان الماضي، فاجدني اعيش الذكريات شريطا ابديا، وتمر في خاطري صور، تحملني الى ايام الشتات والغربة، ايام كنت اتبلة موقوتة فجرتها في كل بقاع الارض مدافعا عن حلمي، وعن حقيقتي، وعن وجودي، ايام كنت اتنفس الحياة زغرودة مع بسمة كل طفل يأتي الى هذه الارض.

ايام كان الخريف خريفا، الشتاء شتاء، والربيع ازهارا وورودا والوانا سماوية قدسية، ايام كنت اعرف من انا، وأين انا.. ولماذا انا، ويصل بي شريط الذكريات الى الحاضر ونبوة المستقبل، فتختلط الالوان وتمتزج الحبيبات، ويطغى السواد على كل شيء الا بريق عينيك الذي يبعث الدفء في احشائي مع اطلالة كل فجر جديد.

Digitized by Birzeit University Library